وهن

الطبعة الأولى
إصدارات دار ميثاق 2021
رقم الإيداع: 2021/26268
الرقم الدولي: 978-977-6916-52-6

الكاتب: هاجر عبد السلام
عنوان الكتاب: وهن
الإخراج الفني: أحمد الشافعي ملكي

الناشر: ميثاق للنشر والتوزيع.
إيميل: mesaak10@gmail.com
الهاتف: 01143487669
فيسبوك: mesaak0

جميع الحقوق محفوظة © لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.
تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

رواية

وهن

هاجر عبد السلام

قرمش
للنشر والتوزيع

« للذين فقَدُوا وفُقُدُوا عليكم أن تتجاوزوا الألم
مهما علقت قلوبكم.»

إهداء

للمنتحرين على قيد الحياة
لكل من فارقت بيننا الأوطان
لقلبي لأنه علتي ولأفكاري السوداوية
لأولئك الذين أحببتهم بصدق وتركوني
لجدران غرفتي وعزلتي وصمتي الدائم
لوحدتي التي ظللت حبيسة بها طيلة الليالي
للألم والندوب والخذلان دونكم ما كنت أكتب.

هاجر عبدالسلام.

المقدمة

حاولت كثيرًا أن أكتب هذه المقدمة.. وقفت أتساءل كيف يُعبر المرء عن روحه التي وضعها بين السطور!

في الحقيقة أنا لا أحب المقدمات والكلام المعسول الذي يقال قبل عرض فكرة أو موضوع لذلك أنا لم أكن أريد أن أضع هذه المقدمة، أنا فقط أناقش تجارب ربما مرت بك أو بأحد من حولك، وربما لم تمر من الأساس لكنك ستشعر بها؛ كل حرف قد كُتب بفيضٍ من المشاعر وبكثير من الألم وكان الأمر ينتهي بي إلى البكاء أحيانًا وحتى لا أبالغ كانت تدمع..

كل شخصيات الرواية عشت بها ومعها ولها.

يخبرني الجميع أن أحرفي تلمس شيئًا داخلهم ربما لأنني لم أكتب شيئًا دون أن أشعر به، أتحسسه بقلبي لا مجرد جمل عابرة، أنا أحب التميُز لذلك أنت ستشعر أن شيء ما مختلف داخل كل ورقة تقرأها، كل ما أريدُه منك أن تترك نفسك بين ثنايا سطوري، أن تتمايل بخفة بين الحروف، وألا تتعجل وتسبق الأحداث، أن تسرح بين أحرفي كما لو أنها رحلة قصيرة ستتعرف بها على شكل الحياة وكيف تمضي بنا وما يخبئه لنا القدر، ستتجول بين كل شخصية

وتعيش داخلها كما لو أنها جزء منك، ستتعرف على الكثير من الأشياء ربما كنت تغفل عنها، ستراها من جهتي أنا.

جهة فتاة ذات ثمانيةٌ عشر عامًا وثمانٍ وعشرون حرفًا تحمل قلب عصفور جرحته الحياة مرارًا ورِقة فراشة خدشتها الوحدة ولم ينقذها سوى الكتابة..

لقد تمردت على العالم وخسرت كثيرًا.. كثيرًا حتى أنني لا أتذكركم الخسائر التي لحقت بي؛ في كل مرة كان يتلاشى كل شيء من حولي إلا الحروف وحدها تلملم شتاتي وتبعثري ولا تمانع أن أسكب داخلها دموعي المحبوسة وكل ما ذبح روحي وعصر قلبي عصرًا، هذه السطور كتبت من جوف الحزن والألم كي تصنع الحب والسلام بما خطّه قلبي قبل أن يخطّه قلمي.

إليكم رفيقة أيامي وحزني «وهن»

«الفصل الأول»

(بداية الحكاية)

«قلبي مثقل بأشياء لم أبح بها وآفات الماضي تكاد قتلي»

(أنس)

لم يكن عليها سوى أن تأتي لتغير مجرى حياتي بأكملها بعد ذلك فتنقلب انقلابًا أعتى من أي انقلاب.

أمام باب المصحة أتت مهرولة إليّ، جسدها يرتجف ويداها ترتعشان، تلتقط أنفاسها بصعوبة، يظهر على وجهها الخوف نظرت إليّ ولم تتفوه بكلمة لكن عينيها كانت تبوح بالذعر الذي يتمكن منها، شعرت أن قلبي سقط من جوفي وهرب بعيداً إليها..

_ «ناهد من فضلك، خذيها إلى غرفة على الفور»

تنظر إليه بتعجب: _لكن هذا..؟

_ «أعلم ما تودين قوله إنها مسؤوليتي»

لم أفكر في أي شيء سوى أن أجعلها تهدأ ولو قليلًا، بعد أن أخذتها الممرضة "ناهد" إلى الغرفة المقابلة لغرفتي طلبت منها أن تجلس معها إلى أن أنهي إجراءات دخولها وفي الحقيقة لم يكن من المفترض أن تدخل قبل أن نعرف هويتها لكن حالتها كانت تُحتم عليّ ما فعلته، فقلت أنني سأتحمل ذلك على مسؤوليتي،

ربما أنه قلبي الذي نطق منذ صمت طويل!

في السنوات الأخيرة منذ أن التحقت بكلية الطب وبعد أن تخصصت في الطب النفسي وأتممت دراستي وتخرجت، وبعد أن جئت للعمل في المصحة ورأيت الكثير من الحالات والمرضى، في كل مرة يتعافى منهم شخص أتيقن أنني في المكان المناسب، ما تخيلت يوما ماذا كنت أعمل إن لم أداوِ تلك الجروح التي لا يراها سوانا نحن المعالجين النفسيين.

على مدار سنوات حياتي بحثت عن الحب مرارًا، كنت أتفقده بين المارة والرفاق والعائلة ولم أجده، ويشاء القدر الذي جمعني به الآن بعد أن ظننت أنني لن ألتقي به، ولن ألتقي بمن يتلهف له قلبي، حتى أتت..

منذ أن رمقتني بعينيها الواسعتين اللتين بدى عليهما ملامح الخوف لكني وجدتهما جميلتين، جمالها استثنائيًا ليست كأي امرأة رأيتها، كانت ترتدي فستانًا ورديًا وشعرها يرقد فوق ظهرها مائلًا للون البني، ملامحها كانت أكثر براءة من ملامح طفلة لم تتجاوز السبعة أعوام ورغم الألم الذي يسكنها ودموعها المتحجرة بين جفونها لكن حقًا ملامحها دافئة للغاية، ربكني هدوؤها ورقتها، وجهها الذي يشبه حبات البندق الصغير، فمها المستدير ووجنتيها الرائعتين، كانت مختلفة للحد الذي يجعلها تصل إلى قلبي منذ الوهلة الأولى.

كانت الغرفة معظمها من الخشب وألوانها مترابطة ببعضها البعض، سَرِير قَابِل للَفك والتركّيب في أي وقت، جلست لثوانٍ ثم وجَدتها مُلقّية بَجسِدها المُرتَجِف فَوق السرير كأنها للتو تستريح بعد عناء، فقالت الممرضة "ناهد": ألن تخبريني أي شيء عنكِ؟

صمت طويل ولم تَجِب ثم أمسكت ورقة وقلم وكتبت عليها أسمي "آماليا" أرجوكِ أعطني شيئا يُسكِت تلك الصرخات التي تحتل عقلي ارجوكِ افعلي شيئا حتى يتوقف عقلي عن التفكير.

أعطتها المُمرضة مُهدِئ، فَراحت في سُباتٍ عَميق، كأنها لَم تَنم مُنذُ مدة لكن ما جاءت تحمله في جوفها لم ينم أبدًا، دقائق تمر في هدوء ثم أتتها نوبة ذعر شديدة، سرعان ما تعرّق وجهها وكانت تلتقط أنفاسها بصعوبة بالغة، كان كل ما بها يرتجف.. جسدها، يديها وقلبها أيضًا.

ذهبت "ناهد" إلى "أنس" تخبره بما حدث فأتى مسرعًا إلى غرفة آماليا وجدها تجلس أرضًا في ركن صغير تضم يديها إلى كتفها كأنها تحتضن نفسها!

أنس: انصتِ إليّ جيدًا أنتِ هنا كي تتعافي لا من أجل أن تصمتِ أبدًا، أعلم أنكِ تشعرين أن الحديث بات ثقيلًا، لكن المهدئ لن يفعل شيئًا.. ثمة دقائق يقل فيها حدة الألم وبعدها يعود كل شيء إلى سابق أمره، تحدثي إليّ أنا هنا

من أجلك، تحدثي بأي حروف ولو دون ترتيب سأجمع تلك الحروف وأفهم، تحدثي بما تخبئينه في قلبك علّ الألم يزول عنكِ.

آماليا: .....

أنس: إن لم تتحدثِ لن أستطيع مساعدتك، ساعديني كي تساعدي نفسك.

وطلب من "ناهد" أن تظل معها ولا تتركها وتدون ملاحظات عن حالتها، تعبيرات وجهها حتى تلويحات يديها وما تفعله، ثم خرج "أنس" وتركها في غياهب الحزن وصراع بينها وبين ما داخلها، بالطبع هو يفهم لغة الجسد، يعلم أن كل ما يخفيه المرء يظهر بشكل آخر وربما دون أن يشعر على هيئات مختلفة أكثرها وضوحًا التنهيدات هي التي تفضح حالة الأشخاص «إنه يتنهد بألم يحاول إزاحة شيء ما في صدره»

***

هي تخشى الوحدة ترتعب من فكرة الجلوس وحيدة لكن كلما تألمت أن تكون وحدها كأنها تصنع صلحًا مع الألم تتفاوض معه في عقد معاهدة سلام ولو لأيام معدودة، كم مرة تألم جزء فيك فشعرت أن باقي أجزاء جسدك تتألم هي الأخرى كأنها تتعاطف معه!

لكن في حقيقة الأمر أننا حين نلجأ للعزلة نكون في أمس الحاجة أن يجدنا أحد، يبحث عنا وينتشلنا من الظلام القابع في أرواحنا، لا أحد يختار أن يكون وحيدًا إنما رغمًا عنا تعانقنا الوحدة في كل حين .. لا أعني هنا أن يكون المرء بلا أشخاص جواره فقط بل عندما يتملك منك الشعور بأنك وحيد وسط كل من حولك فهذا الأشد قسوة، فيحدث أن يعانقك العالم بأسره ولا يكفي ليعوض غياب شخص كان يغنيك عن العالم، اخبرني كم مرة جلست تفكر كيف لشخص واحد أن يمتلك القدرة على جعلك بخير؟ كثيرًا أليس كذلك؟ إنها معضلة إدمان الأشخاص يا عزيزي أن تجد نفسك دون أي مقدمات تتعلق بأحد يؤلمك غيابه، تود أن يكون معك في كل وقت، وحين لا تتحدث إليه ولو ساعة تشعر بالضيق كأن العالم أصبح فارغًا من كل شيء، كما لو أن الله لم يخلق أي شخص غيره في هذه الحياة التي لم تصبح حياة من الأساس إلا معه، حتى أنك تشعر بالضياع دونه.

***

بالطبع تظن الآن أن آماليا تعاني من قصة غرامية؟ هكذا ما هيأه لك عقلك لكن أخبرتك من البداية ألا تتعجل

ولا تتوقع أي حدث لأنك ستتفاجأ بعكسِه، امضِ وراء حروفي أنا...

***

«سُرقت مني أحلامي وأنا في مقتبل عمري»

(روح)

عزيزي "شهاب" أم أَقُل أخي الحبيب؛ لشدة افتقادي لَك، يَا لَيتُكَ كُنت هُنا معي الآن؛ لأصف لك ثُقل ما أشعر به، لَيتُكَ يا حبيبي جواري لكان كُل شيء على ما يُرام، آهٍ يا أخي أتتذكر عندما كنا نتشاجر سَويًا؟

كلَّما كان يُحزنني شيءٌ وأبكي كُنت تأتي لُتربت على كَتفي وتخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام، أُقسِم لَك أنني ما مَرَّ على فُؤادي أصعَب مِن فراقِك، كنت تغضب مني عندما أحُدِثك بأنني فِرنسية نِسبةً لِأُمي، كنت تُقاطعني و يلتوي وَجهك وتقول لِي أنتِ مِصرية نِسبةً لِأبيكِ ولي أما أُمُك قد تركتنا، وما كُنت أَقل لَك ذَلِك إلا لِأسمع مِنك تِلكَ الكلمات التي تُبدي لِي كم تحبني، كنت طفلة لا تَعي ما تَقُول، بِحق ما كُنا نفعله سَويًا، بِحق رابِطنا الأخوي كيف تتركني وتَرحل يا شهاب؟ أنا أنتظرُك في منامي كُل ليلة لِتُخبرني كيف حالك، ستأتي أليس كذلك؟ فَأنا وحيدة هُنا، وحيدة جدًا يا شِهاب، وأكثروِحدة بعد أن رَحلت.

***

كان الجو يُقارب الثانية صباحًا، كنت أجلس في شُرفة المنزل مع والدتي التي عِشتُ معها حتى السادسة عشر من عُمري، وفور أن أخبرتها أنني أُريدُ رُؤية أبي وأخي وطلبت مِنها أن نَعُود إلى مِصرِ، رَفضت تمامًا و خَيرتني بينها وبينهما، وكَان عليّ أن أختار إما حياةُ أمي في فرنسا والمُجتمع الذي شَعرتُ أنني لست مِنهُ، أما أعود إلى وَطني الذي أنتمي إليه، وإلى أخي الذي لا أحد يُحبني مثله، وإلي أبي الذي أفتقده كثيرًا، ولأن لا شيء يُعادِل شعور المرء وهو مطمئن؛ فقررتُ العَودة.

مُنذ أن انفصل أبي وأمي وأنا في عناء ما بينهما، وكنت أطلب من أمي أن نَحِل كُل هَذا ونَعيش مَعًا في مِصر لكن كبرياء أصلِها الفِرنسي كان يأبى ذَلِك، وقد التقى بها أبي في جولة له في فرنسا أحبها وأحبته وقرَّرا أن يتزوجا وعاشا معًا في فرنسا لسبع سنوات، وكأي مغترب يشتاق للعودة إلى وطنه أخبرها أبي أنه يريد العودة إلى دياره لأن الحياة في فرنسا لم تكن تعجبه من الأساس ورفضت أمي العودة معه إلى مصر، وكان عمري حينها عامين فكان من الصعب أن يأخذني أبي معه، سافر أبي ومعه "شهاب" إلى مصر، وبقيت أنا وأمي في فرنسا وكنت أسافر إلى أبي كل إجازة أقضيها معه ومع "شهاب" وكانت بالنسبة لي أسعد الأيام وأحبها إلى قلبي، في كل مرة كنت أحاول أن أصلح الخيط الذي انقطع بين أبي وأمي لكن المحاولات باءت جميعها بالفشل، اليوم وبعد

ستة عشرعامًا من بقائي وسط أناس لا أنتمي إليهم سأعود أخيرًا إلى الديار الذي أشعر داخله أن الجدران تضمني، ورَغم أن قلبها كان سيقُول أنها سَتفتقِدني لَكِنها لَم تَنطِق بِذلك، وقامت تُحضِر معي حَقيبتي، لم تَكُن قَسوةً مِنها لَكِنها لا تَعرِف كَيف تُعبِر عن مَشاعِرها وهذا ما يَجعلني لا أشعُر بالدِفء في هذا المجتمع..

الوَطَّن بِرَغم ما يَحدُث فِيه مِن حُروب، يبقى آمن مِن كُل بقاع الأرض، وهذا ما أشعر بِه في مِصر، كلَّما كنت أذهب في الإجازة إليها كانت تروقني أي لحظة فيها وتصنع لي ذكريات أحفظها في قلبي، أحببتُ روح أهلِها وأحاديثهم، أحب الشَوارِع بِها ونَسّيمها ورائحتها بعد المطر، لحظات الشروق من شرفة المنزل على صوت فيروز الذي يصدر من راديو قديم للعم (حامد) صاحب محل عصير القصب أسفل منزلنا، والسيدة الجميلة (زينة) التي تصنع غزل البنات وتحكي لي الكثير من الحكايات اللطيفة، كلها أشياء لا أراها في ذاك المجتمع المتعجرف، وأكاد أجزم أنني دون أخي "شهاب" لم أكن لأغرم بكل جزء هنا.

يحدث أن تحب شخصًا فتحب كل ما يحبه.. المنزل الذي يعيش فيه، الشارع الذي يمر به، مدينته بأكملها، مشروبه المفضل، رائحة عطره، واللون الذي يحبه، ويحدث أن تحسد كل شخص يراه،

الأشياء التي يلمسها بأنامله وفنجانه الذي تتحسسه شفتاه.

إن المرأة حين تحب تتحول -دون مقدمات- إلى فراشة تحلق بخفة ولا شيء يمكنه أن يسع أجنحتها وحينها فقط تود لو تضم العالم بين كفيّها.

الحب وحده قادرعلى أن يُحيي بداخلنا كل ما هدمته الحياة حتى أحلامنا التي ظننا أنها لن تصبح حقيقة الحب وحده يجعلها تتورد حولنا.

نحن من أخطأنا حينما اقتصرنا الحب على أن يكون بين رجل وامرأة إنما كان علينا أن ننشر الحب بين الجميع، تخيل أن نمشي نتبادل الابتسامات في وجه بعضنا البعض، نقدم وردة لمن نراهم بدلًا من السلام الجاف، أو نمنحهم عناقًا طويلًا يعبر عن مدى الاشتياق، نوزع الحلوى على الصغار ونقول لكل من نقابلهم كيف تبدو ملامحهم جميلة، تخيل إلى أي مدى ستكون الدنيا أخف؛ صدقني في كثير من الأحيان كل ما يحتاجه المرء أن يشعر أنه محبوب لذلك امنح الجميع الحب والأمان ولحظات من السلام فإنه أعظم ما تقدمه لهم.

***

«الأكثر إيماتة من الهجر ألا تجد من تخبره بدواخلك المشتتة حتى أقرب الناس إليك»

(زين)

تصاعد الدخان من إحدى مقاهي وسط البلد يجلس زين مشعلًا سِجارة مع كوب القهوة الذي أصبح يشربها دون سكر فكل الأيام مُرَة، يتخيل طيفها أمامه فيقوم سريعاً ظنًا منه أنها "نور" ليقترب فيجد أنها ليست هي.. كلَّما مرت فتاة من أمامه يتخيل أنها نور أو ربما يتمنى أن تكون هي، أكل البشر باتت تشبهك! أم أنني أصبحت أراكِ في وجوه الجميع!

عاد زين إلي مجلسه وكان سيطرح بأحدهم أرضًا وهو يسأله بسخرية ألم تجدها أيها المغفل؟ معها الحق أنك تتركك مَن يبقى مع أحد مثلك، لولا أن مَن في المقهى حاولوا التدخل حتى هدأ "زين" لكان انتهى الأمر بعاهة في جسد هذا الأبله، "زين" الذي ينفر منه الجميع وينبذونه ولا أحد يعرف عنه شيئاً سوى أنه جاء يبحث عن حبيبته المفقودة.

كان صيفاً كئيبا جدا حينما رحلت "نور" وفقد "زين" آخر طوق نجاة له في الحياة، أتى صباح مؤلم، ذهب "زين"

إلى منزلها ينتظرها كما يفعل كل يوم حتى يأخذها ويذهبان للعمل مَعًا فلم يجدها ظن أنها ربما لم تستيقظ بعد أوربما متعبة ولن تذهب اليوم لكن قلبه كان قلقًا، فصعد إلى البناية وطرق الباب مرارًا لم يَجِب أحد، تَيقّن أنها ليست بالمنزل ووالدتها أيضا، جلس ينتظر حارس البناية حتى رآه وسأله أين هم فأخبره أنهم رحلوا فجرًا ولا يعلم إلى أين، كاد "زين" أن يستشيط غضبًا كيف أن ترحل فجأة هكذا ولماذا لم تخبره وما الذي يجعلها تفعل ذلك، حاول أن يتصل بها فوجد هاتفها مغلقًا، عاد إلى بيته رمقته أمه بنظرة خبيثة فدخل إلى غرفته ولم يتحدث ظل يفكر.. وكاد أن يأكله عقله من كثرة التساؤلات التي تدور حول رأسه.

لم يَحدث شيئًا يجعلها لا تجيبني، ماذا حدث أَ رفضت أمها أن أذهب وأخبرها أنني أريد الزواج منها؟ ولماذا لم تخبرني ذلك، أي طريقة للرحيل تلك، تترك لي تساؤلات وتترك عقلي يتلاعب بي هكذا، لمن أذهب الآن وماذا عليّ أن أفعل، رباه أنني أفقد صوابي دُلني إلى طريقها العالَم دونها لا يطاق، لم أجد من أقاسم معه حزني إلا هيّ، لَم يُحبني أحدٍ سِواها ولم يقبلني العالم ولا العائلة، هي فقط من أحبتني كما أنا، ورأت سوئي فَجملته بحسنها.

«يا مَن لا تضيع عنده الودائع أستودعها عندك على أمل أن تدلني على مكانها.»

كان "زين" يتمتم بهذه الكلمات وهو يخاطب ربه في سجوده ثم قام يفكر فيما سيفعله.

من الصعب أن ينام المرء بعد أن غادره شخص يحبه، كيف أن يغفو وهو يحمل بقلبه كل هذا الأسى؟

يخيل للجميع أن الليلة الأولى بعد الفراق تكون الأكثر صعوبة أما أنا أقول أن الليلة الأولى بعد مرور أسبوع هي الأصعب؛ في الليلة الأولى يكون الإنسان غير مستوعبٍ ما حدث ويعيش في وهم أنه سيعود، يومًا بعد يوم إلى أن ينتهي أول أسبوع فيفيق من غفلته ويرى أنه رحل بإرادته ولن يعود، يكون حينها في كامل وعيه أنه قد تُرك وهذا الأكثر قسوة على قلبه أن يتحمله فيجلس وقلبه واهنًا لا يعلم أين تكمن النجاة وكيف يتعايش مع فكرة رحيل الطرف الآخر، وفي الحقيقة نحن لا ننسى الأشخاص؛ كل شخص يرحل يأخذ جزءً من روحنا معه لكننا نتناسى بشكل أو بآخر وتلتئم جروحنا حينما نتأقلم على رحيله، وأنه لا فائدة من البكاء وإلا كان الجميع لا تجف دموعه، لكل شيء بداية ونهاية كما نلتقي نفترق.. أعلم جيدًا أن قلوبنا هشة.. كلمة تمزقها وكلمة تداويها وأتعجب لهذا الذي في يسار صدورنا تُزهره كلمة وتهدمه أخرى لكن عليك أن تتقبل فكرة أن الرحيل بأي شكل من الأشكال سيحدث

لذلك ادعُ الله دائمًا أن يرسخ في عقلك أن الفراق محتوم ودائمًا هون على نفسك لا تلومها.

***

«أين أنا من بين كل الذي فقدته وأين أجد نفسي التي تاهت»

(مريم)

لقد كبرت يا أمي وأدركت أنه لا يوجد أشباح أسفل سريري، لم أكن أعلم أنهم سيلاحقوني في أيامي ويصيبونني في سباتي حتى أكاد أن أفر من غفوتي، كلَّما أغمضت عيني شعرت أنني وسط غابة تلتهمني وحوشٌ، أتخيل أنني أتمزق وينهشون روحي، إنهم يقطعونني إلي أشلاء، أحارب عقلي ليهدأ ويغفو فيسقط دمعي رغماً عني، بي من القلق ما يجعلني أتمزق كدت أتهاوى من الضعف رباه إنني أنهكت، دمعي مشتت في وجهي من كثرة المعارك التي تحدث ولا أدري كيف يتخلص المرء من مخاوفه وهي تحوم حوله في كل مكان، إلى أين يتجه الإنسان عندما يشعر أنه يتمزق؟

***

كنت عائدة من الجامعة وشعرت أنني أختنق ولا أستطيع أن أصرخ لينقذني أحد وإنهم يلاحقوني، أبتعد عن كل الأماكن وأراهم خلفي يودون الإمساك بي، لماذا أنا ؟ ماذا

فعلت لكم حتي تلحقوا بي وأنا التي لا حيلة لها، عقلي كاد يجن من فرط التفكير والمشاعر المميتة التي تعذبني، أهرول إلى مَن الآن؟

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أصرخ في الشارع قائلة ابتعدوا عن طريقي ابتعدوا عني، ثم سقطت فاقدة الوعي ولا أعلم من أتيَّ بي إلي المنزل..

إنني محطمة، متعبة ومشوشة يا الله أنت وحدك من يعلم بما بي، أخاف أن يقودوني إلي أن أقترف بنفسي سوءً، أخاف أن أقتل نفسي كما يطلبون مني، إنهم يسببون لي دمارًا لا مثيل له، أصبحت أعاني منهم ومن حالي ومن الجميع، أمشي خائفة مرتجفة أن أراهم، إنهم يتلاعبون بي وبأيامي وليتني أعلم ماذا أفعل، لا أعلم سوى أن أتجه إليك.. إنني هشة أكثر من وريقة تتلاعب بها نسمات الهواء، وروحي مليئة بالندوب التي لا أتحملها لكنك على كل شيء قدير، لا تتركني وحدي يا الله، أعلم أنك تسمعني وتجيب دعائي اللهم كما نجيت يوسف ويونس نجني مما أنا فيه يا من تجيب المضطر إذا دعاه، آمين.

وانذرفت دموعها وقامت تقرأ آيات من سورة طه لعل الكرب الذي بها يزول، مؤلم أن تحزن على نفسك وتجلس تفكر أي ذنب اقترفته

لتعاقب عليه عقابًا قاسيًا إلى هذا الحد الذي يصعب عليك تحمله!

***

يستطيع المرء أن يواجه أي شيء لكن كيف يواجه أفكاره؟

في كثير من المرات التي أترك نفسي بها للتفكير يؤدي الأمر إلى البكاء، كأنك تخلق شيئًا يبكيك منه وتبحث عمّا يزعجك، نحن من نضخم الأمور في حين أننا لو تعاملنا معها على أنها بسيطة لا نعطيها أكبر من حجمها ستمر دون أن نشعر بثقل، في أول زيارتي لطبيبي النفسي فور أن أخبرته بما أعاني منه أخبرني أنه عليّ أن أتقبله، وأن هذا المفتاح السحري لجميع الأبواب المغلقة في وجهنا -كل ما نراه صعبًا- لم يكن سهلًا أن أتقبل ذلك لكن حينما حدث أصبحت كلما أقع في مشكلة أو يكون عليّ ضغط كبير أقول لنفسي»فقط عليكِ أن تتقبلي الأمر حتى يزول ويمر.»

بالمناسبة عقلك يصدق ما ينطقه لسانك فإن جلست تقول أنا لا أستطيع فعل ذلك فأنت بالفعل لن تستطيع ليس لأن قدرتك على فعله قليلة بل لأنك أقنعت نفسك بذلك وعلى النقيض كلما تقدم لنفسك جمل إيجابية يصدقها عقلك ويستجيب لها، في كل المرات التي أخبرت

نفسي أن الحظ سيحالفني هذه المرة كان يحالفني فعلًا، لذلك نصيحتي لك أن تتقبل كل أمور حياتك مهما اشتدت وأن تؤمن أنها ستزول.

***

«أحيانًا تنساق وراء أفكارك الشيطانية حتى تقودك إلى الهلاك»

(سليم)

كنت أخرج من جسدي رويدًا رويدًا وأبتعد عنه وأخذت أنظر إلى نفسي من بعيد وانتفخت الجدران المحيطة بي وخرج منها شعاع ملون بألوان مختلفة تداخلت هذه الألوان في بعضها ورأيت الأصوات لكل صوت صورة ولكل نغم لون، ثم خرجت عين ضخمة من الجدار فنظرت خلالها إلى نفسي واقترب القطار فرأيت لونًا أزرقًا تزداد شدته كلما اقترب، وتغير اللون فجأة إلى مجموعة ألوان غريبة تداخلت في بعضها بشكل باهر شعرت بالخوف وحاولت الهرب ورأيت نفسي أركض في الفضاء وأتحسس أطراف الغيوم وسَرىٰ في جسدي خدرٌ عجيب ثم شعرت بجفاف في فمي وثقل في أطرافي واعتراني رعبٌ وهلع، وجوُّه الناس حولي كانت تسيل كأنها مصنوعة من طين لين يتساقط عليها المطر الشديد فتتغير معالمها وكنت أريد نزع جلدي كأنّي أفعى.

هذا ما شعرت به يا أمي أقسم للكِ أنني لم أكن أريد أن أفعل ذلك لكنها نفسي وشيطاني الذي لم أستطع التغلب

عليه وأعترف أنني أخطأت وجئت أخبركِ بكل شيء، أعلم أنكِ ستغضبين وربما تلقين بي وحدي وتغلقين عليّ الغرفة كما كنتِ تفعلين وأنا صغير، أعلم أن خطأي هذه المرة ليس سهلاً لكن الله يغفر الذنوب وأعتقد أن الذنوب سبباً لأعودَ إلي الله طالبًا منه الرحمة والعفو وأطلب منكِ يا أمي أن تسامحيني وتدعي لي الله أن يهديني إلى صراطه المستقيم وألا أنحرف إلى الشهوات وألا أميل إلى المحرمات وألا أعصيه.. أعدكِ بذلك، فقط لِتقُلِ ليّ أنكِ سامحتيني، ولن أفعلها مجددًا كما أنني سأصلح ذلك بقدر المستطاع.

وقام يقبل جبينها حتى ضمته إلى صدرها وهي تدعي الله أن يحفظه ويبعده عن هذا الطريق الذي بإمكانه أن يقضي عليه وحتمًا ستكون نهايته الهلاك بأي شكل من الأشكال.

ثم عزم "زين" أن يقوم بحملة لتوعية الشباب بمساوئ ذلك وأضراره ولنصحِهم إلى ما هو أفضل ولعله بذلك يُكَّفِر عما فعله كما وعد أمه ويصلح أخطائه ويكون سببًا في أن يقتدي به غيره.

ولأن أي خبرٍ على مواقع التواصل الاجتماعي أكثر انتشارًا فعرض زين الفكرة على صفحته الشخصية التي قابلها الكثير من الناس بالدعم وعرضوا عليه أن يساعدوه

كما أن الكثير من الشباب اتفقوا أن يكونوا معه، وقابلها البعض الآخر بالسخرية.

***

في الحقيقة أنا لا أحب مواقع التواصل الاجتماعي؛ إنها تستحوذ على الكثير من وقتي بلا فائدة أو هدف لكنها أيضًا الطريقة الأمثل لانتشار وتداول الأفكار، في عيوبها فائدة وفي فائدتها عيوب لكنها الوسيلة التي تساعد عندما يريد أي شخص أن يقترح فكرة ما أو عندما يشغل باله شيء فيقوم بالسؤال عنه على الملأ.

« الفصل الثاني »

قم
واصنع كوبًا
من الشاي لنكمل رحلتنا يا عزيزي.

« لطالما أن النجوم كلها متشابهة لماذا أنتِ تحديدًا تبدين في هيئة إنسان!»

(أنس)

استيقظت لأجدها جالسة على أريكة هنا تنظر إليَّ تنتظر أن أفيق، صمّتت هي وصمت أنا ليكون أول ما نتشاركه الصمت، ظلت تنظر إليّ بعينيها التي لا أعلم كيف تسحر هكذا، ولم أستطع أن أحدد أي لون هي، مزيج بين لون السماء في الخامسة صباحًا وبين لونها وقت الغروب، إذ كان الدفء شيئًا يمكن لمسه فإنه يتجسد في ملامح وجهها، ابتسمت لأنها لاحظت توتري حينما تنظر إليّ، وكدت أقسم أنها أجمل ابتسامة رأتها عيناي، ابتسامة دافئة تشبه نسمات الصباح وهدوء وسكينة وقت الفجر.

***

دقائق من الصمت ثم تذكرت ما جاءت تحمله بقلبها وأجهشت بالبكاء، كانت عينيها مليئة بالدموع وقلبها أيضًا، كانت نوبة بكاء طويلة دون كلمة، ولم يستطع "أنس" أن

يفعل شيئًا لكن قلبه كاد يسقط مع تساقط دمعها، ظن أنها لربما تتحدث بما تبوح به ملامحها لكنها كانت متماسكة رغم انهيارها.

قال أنس لنفسِه:

تمنيت حينها لو أن أذيل ما بها وأحمله من داخلها وألقيه بعيدًا عنها، لا أقدر أن أراها تتألم، أخشى عليها من الندوب وأخشى على قلبها الأذى، ولا أعلم ماذا عليّ أن أفعل، لكنها حقًا بحاجة إلى أن تشعر أن هناك من يقف جانبها.

إن أعظم ما يقدمه الإنسان لشخص أن يجعله مُطمئِنًّا.. بالنسبة لي الشعور الوحيد الذي يستحق البحث عنه: هو أن أكون آمن في حديثي مع من حولي بكل ما لدي من انفعال ورغبة في التعبيرعن ضجري، أن أكون مطمئن أن عفويتي محبوبة ومرغوبة، والعيوب التي أراها في نفسي لا تمثل أي مشكلة للآخربل تجعلني مميزعن الغير، أن أشعر أن وجودي خفيفًا في قلوب الجميع لا أكثرمن ذلك..

كما قال البراء حسن «طبطب عليا وقولي هتعدي، محتاج أحس بيد غير يدي» جميعنا نحتاج أن نشعر بالأمان، مواقف الجبر وقت الانحناء لا تُنسىٰ أبدًا، أن يربت أحدهم على كتفك، ويخبرك أنه جوارك، وأن الأيام ستمضي بطريقة ما، ورغم شدتها لكنها تمضي فقط لأنك لست وحدك، ولأن هناك من يعينك على ثقلها وكما يقول

فؤاد حداد «حمل الليالي خفيف لما يشيلوه اتنين» فعندما نتقاسم الحزن حدته تقل، وعندما نتقاسم التعب يهون، أنا أقدس شعور المشاركة وأبتهج كلما يشاركني شخص أشياء يحبها أو تفاصيل حدثت له، كل شيء يكون ثقيلًا إلى أن تتشاركه مع شخص يحبك حينها فقط يصبح خفيفًا كنسمة هواء.

نظر أنس إليها مجددا فوجدها تخرج دفترها وتكتب، دار في عقله الكثير من الأشياء التي لا يعلم أين يجد إجابة لها وإلى متى ستبقى صامتة كما هي، عليه أن يفعل شيئًا لكن ماذا وكيف!

عندما تشعر بالعجز أمام مساعدة شخص تحبه تود لو أن تنشق الأرض وتبلعك، تكون حينها غير قادرًا على أن تظل واقفًا كالجماد ولا تقدم له ما يساعده وبذاتِ الوقت أنت لا تعلم ما الذي يمكنه أن يفيده.

كتبت آماليا:

الفقد مؤلم أكثر ألمًا من القتل، أن يقتلك أحدهم ينغز سكينا في قلبك أهون من أن تُقتل ألف مرة حين تفقده، وأنا أتعذب لفقدكما حتى تآكل فؤادي.. ثم كتبت إليه تخبره أنها تحاول أن تتحدث ولا تستطيع وأنها تتألم من الصمت؛ كما أنها ترى أن الحديث لا يجدي نفعًا.

فقال أنس: إن كانت الكتابة تقل حدة ما تشعرين به فلا تتخلي عن قلمك أبدًا، دوّني كل ما يجول في خاطرك؛ حتى يزول كل شعور مخزي.

فكتبت آماليا: الكتابة مرة أكثر مرارة من الصبار، أنت تشعر بألمي حينما تقرأ لي، فما خطبك بي وأنا أسرد لك أوجاع روحي، إنني جف غديري وباتت تمر الليالي دون أن أنطق كلمة، لا أدري كيف أصف لك أنني أصيبت بحالة ذعر من كل شيء، وأنني على مدار سنوات حياتي كانت كل الليالي قاسية، ولم أعد أتحمل بقائي، العلة هنا في قلبي، هُلِكت بأفكاري حتى أصابتني الاضطرابات النفسية ومازال الصمت رفيقي، عُزلتي التي أهرب إليها هي مُتسَعي من بين الجميع، حروب تُقام داخلي، بينما وجهي يبدو لك باسمًا، سأخبرك أن الحياة ليست عادلة، وربما أنا رأيت زاويتها السوداوية، لكن العالم لم يكن مُنصفًا يومًا.. فقد سلب مني كل ما أملكه.

أنس: إنني أشعر بالألم الذي ظهر على ملامحك وأنتِ تكتبين كأنكِ كنتِ تصبين بأناملك المرتعشة جرعة وجع في الأحرف وكما نعلم أن ما يكتب من القلب يصل للقلب فقد توغلت كلماتك في صدري وشعرت بالحزن عليكِ وعليّ.

آسفًا على كل الذي حدث لكِ يا آماليا وأرجو من الله أن يمنحك السكينة، وأن يغرس في قلبك السلام.

***

يتملك منك الشعور بالوهن كلما رأيت شخصًا تحبه مُتعبًا أو به أذى وتجلس تَقُل "ماذا عليّ أن أفعل كي أجعله بخير؟ أنا لا أتحمل أن أراه بحال سيئٍ!" إننا جميعًا حين نحب نود لو أن نخلع أرواحنا ونقدمها لأحبابنا حتى لا يمسهم سوءٌ، رحمة الله بنا أن يجعل اللين في قلوبنا حتى أنك حين تسمع عن خبر موت أو حادثة تتعاطف معهم دون أن يجمع بينكم أي معرفة.

في كثير من المرات لعنت الموقع الجغرافي لأنه يعيقني أن أكون جوار مَن أحب وكم أتمنى لو أنه فقط تتآكل المسافات وتنتهي ونمنح لحظات من السعادة الغامرة مع أحبابنا حتى ينتهي العمر ونحن معًا.

***

«نمضي ونتعثر من مكان إلى آخر ومن حياة إلى أخرى
باحثين عن الحب ونستقر حيثما نجده»

(روح)

أمي العزيزة: (بيلا)

تعلمين كل العلم أنني أحبك، لكني هنا أفتقد شعور العائلة وكيف أن نكون جمعينا يدًا واحدة، أفتقد أشياء لا تُشترى أشياء أهم من المال والجنسية الفرنسية وأصدقاءك، هم يكرهون أي شخص لكونه ذو بشرة سوداء، الله لا يفرق بين البشر يا أمي وهنا عالم يحتله العنصرية..

عشت معك كل سنواتي الماضية وتعلمت منكِ الكثير من الأشياء النبيلة ولن أنسى يوما كلماتك لي ولن أنساكِ، الآن سأذهب إلى حياة أخرى مع أبي وأخي على أمل أن تعودي أنتِ الأخرى لنا، وإنني أحمل لكِ كل الود في قلبي مهما حدث.

ابنتك المحبة: (روح)

هذا الخطاب الذي كتبته "روح" وتركته في غرفة بيلا قبل أن تذهب إلى المطار حتى يكون آخر ذكرى بينهما، فهي تعلم جيدًا أنها لن تضحي وتعود إلى (مصر).

كانت "روح" يقارب عمرها إلى السادسة عشر، ملامحها ذو الجينات الفرنسية جعلتها تجذب أعين كل من يراها..

وصلت روح إلى مطار القاهرة بينما يقف "شهاب" ينتظرها حتى رآها فأتت مهرولة إليه وهو الآخر حتى تلاقت أرواحهما بعناق.

فقالت إليه: أتعلم يا أخي للتو أشعر أنني في وطني، كل المرات التي كنت آتي بها كنت أعلم أنها مدة قصيرة وسأعود إلى حياة لا أريدها، لكن الآن حقًا أشعر أنني أتنفس حرية وحبًا.

"شهاب" وهو يضع يده على كتفها: اشتقت لكلامك الفلسفي يا صغيرة وللهجتك التي تتحدثين بها

روح بلكنةِ انتصار: صغيرة القامة كبيرة العقل أتنكر ذلك؟

شهاب: لا أنكر يا خنساء.

روح: أتظنني لا أعلم ماذا تعني خنساء؟ أنت تعلم جيدًا أنني رغم بقائي في فرنسا أجيد اللغة العربية ورغم ما يبدو على الكلمة من غرابة لكن الخنساء تعني الجميلة

شهاب: صحيح، هيّا لنذهب إلى المنزل فأبي في انتظارنا ومن ثم لن تفلتين مني أيتها الخنساء الجميلة.

وهما في طريق العودة التقطت "روح" الكثير من الصور فهي تعشق شكل شوارع (الإسكندرية) وأهلها، وحين ذهبا إلى المنزل قفزت حياة على ظهر والدها كما كانت تفعل وهي صغيرة احتضنها وهو يقهقه ضاحكًا ويقول لها لقد كبرتِ على هذا ولقد عجزت أنا لتجيبه بلهجة مصرية «ما أنت لسه شباب وزي القمر اهو»

فيبتسم شهاب ويأخذ حقيبتها حتى يجهز لها غرفتها ثم تدخل "روح" وهي تقول ستبقى إقامة دائمة ومليئة بمشاجراتنا وسأهزمك أمام عقلي الفلسفي، فيحرك رأسه إليها بتحدٍ وهو يقول سنرى من سيُهزم يا ذات العقلي الفلسفي.

جهز لها شهاب الغرفة ووضع تلك التحف واللوحات الفنية على الحائط وفوق المكتب كما تحب، ورتب لها الأشياء، أتت تحتضنه وتشكره لأنه يعلم جيدًا كل الأشياء التي تجعلها سعيدة ويستطيع ببراعة أن يرسم البهجة في حياتها، رغم كل تلك السنوات التي عاشا فيها كل منهما في بلد غير الأخرى لكنه يحفظ تفاصيلها الدقيقة ولا ينساها أبدًا.

ثم طلب منها أن تفتح دولابها وخرج من الغرفة فصرخت (روح) وضحك هو كثيرًا لأنه كان يضع في دولابها ثعبانا لعبة وهو يعلم أنها تخاف من تلك الأفعال وصاحت

به ألن تتوقف عن فعل ذلك أبدًا يا شهاب؟

سأقتلك إن فعلتها مجددًا.

شهاب: إنها البداية فقط مازال هناك الكثير لا تعلمينه بعد.

روح: إذًا فلنعلن الحرب.

ليبتسم والدهما وهو يرى في عين كل منهما حبًا للآخر.

أعلم جيدًا بل إنني أتيقن أن عدم وجود أخ وخاصة في حياة البنت يجعلها تعاني كثيرًا، وجوده يساند ويدعمك ويبقى معك حين لا يبقى أحد، ودونه يكون هناك شعورٌ ناقص تود لو أن تجربه، كلما تكبر كلما يكبر معها الشعور بأن شيئًا لم يكتمل بعد وتقول «آهٍ لو كان لي أخ لكان يساعدني الآن» حينما كان سيدنا موسى عليه السلام ذاهبًا إلى فرعون وقومه طلب من الله أن يأخذ معه أخيه حتى يشدد به أزره، وفي الحقيقة أنك حين تفتقد شعورًا فقدانه يسري في جوفك يكاد أن يفتك بك.

بالنسبة لي أرى أن المرء دون عائلته لا يسوى شيئًا وبمعنى آخر لولاهم ما كنا هنا.

***

«كل شيء دون لقائك عدمٌ كيف أن تكون الحياة بلا هواك؟»

(زين)

منذ اليوم الذي تركتيني به وأنا لم تشرق الشمس حولي، أعلم أنني كنت مهملًا لكِ في الآونة الأخيرة لكن تعلمين أنه رغمًا عني، وإنها أوقات فوق إرادتي أفضل فيها العزلة حتى استعيد حالي وأكون في حالة تسمح لي بالحديث، العالم لم يتقبلني يا (نور) تعلمين كم مرة وددت لو أن أفعلها كما فعل (فان جوخ) واترك رسالة انتحاري وأرحل أنتِ من يمنعني عن ذلك، كل المرات التي حاولت أن أدمر نفسي بها كنتِ تأتين في خاطري فأقول يكفي أن أعيش بكِ ومعكِ ولكِ.

في شجارنا الأخير كنت أشعر أنكِ غريبة عني يا نور كنت أريد أن يطمئن قلبي أنني ما زلت داخلك، تعلمين كل العلم أنني أراكِ موطنًا لي أنا منفي من كل بقاع الأرض منذ رحيلك، كنت ضالًا وأريد أن أهتدي بكِ وأخبرتك أنني أريد أن نتزوج وأنني جهزت كل شيء ولم ينقص سوى موافقة أهلك، لكنكِ ذهبت دون أي كلمة، لم تقولي أي شيء، كيف تمحيني من وجودكِ بهذا الشكل! لماذا تحاصرين أفكاري ولا

أستطيع الفرار من التفكير بكِ! بين كيف ولماذا وبما أخطأت أنا أغمضت عيني وفتحتها لأجدك قد رحلتِ..

لم أستوعب فكرة أنني لن أجدك مجددًا، أنكِ أغلقتِ في وجهي كل الأبواب التي يمكنني أن أذهب لكِ منها، وجلست أجلد ذاتي، وألعن نفسي لو علمت أنكِ سترحلين لكنت أخبأتك بين ضلوعي تتحسين مكانتك عندي، كل الأشياء مبتذلة كيف أصف لكِ حالي دونك الآن!

حتى إن لم تعدِ تفضلين البقاء جانبي كان واجبًا عليكِ أن تخبريني ذلك.

كنا نحتاج أن نتحدث طويًلا، أن يخرج كل منّا ما بداخله، أن تنصتين إليّ وتسمعيني بتمعن وتفهمين شعوري، وأن أقبل عذركِ حتى وإن لم يكن مقنعًا، لكنكِ لم تتركِ لي فرصة واحدة كي أبوح لكِ أنني أتقيأ في ألم عندما أشعر أن تلك الحواجز تُبنى بيننا، كنت أصمت وأصمت ولا أوضح لكِ أن كلمات والدتك تؤذيني وتفتك بي؛ كي لا تشعرين أنها شخصُ مؤذي وترحلين، كل الأشياء تراكمت في قلبي، وكادت أن تحرق صدري، روحي باتت في غصة لا تضاهيها غصة، ولم أستطع تغافل هذا الألم.

إنني أكتب لكِ الآن؛ كي أخبرك أنني أحفظ تفاصيلك عن ظهر قلب، وإن ابتسامتك تربك نبضات قلبي و أعيد ترتيب كل شيء عندما أراكِ، وإن صوتك ملاذي الآمن مازال

عالقًا في أذناي وإن لم أسمعه منذ مدة، أذكرك أنني أتوج كل ذكرى بيننا ولن أمحيها مهما طالت أيام فراقنا، أعتذر لك إن بدا مني أي سوء -لم أقصده-

آهٍ يا نور لقد أتى بيّ الشوق إليكِ، كيف حالك يا مَن في هواها يتبدل حالي إلى أدفئ حال، أود لو أرسل لكِ قلبي في قنينة عطر يفوح منها حبي واشتياقي، كم سهرت ليال ومكثت أبحث عنكِ فوجدتك هنا -بين أضلعي- ثم وجدت نفسي بين ثنايا عينيكِ أحيا، أريدك هنا في كل حين وعلى أي حال،لا رغبة دائمة تتملك مني سوى رغبتي في العيش معِك أنتِ؛ أنتِ وطني، كم أود لو تطوف شوارع المدينة ونلتقي، وجهي جاف منذ أن غاب ملمس يديك عنه، لقد كنت من فرط التعلق أشعر أنني أتنفس من خلالك وأن عيناي لا ترى نورًا سوى جوارك، كل الأشياء في غيابك تهزمني حتى نفسي.

على أمل أن نلتقي في منامي إن كان نصيبنا الفراق الأبدي، أحبك..

في الخلفية صوت هبة طوجي وهي تقول:

«روح يا قمر وأحكي حكايتنا
أسهر على السچر ضوي قصتنا
غني احساسي للبساتين
قال الحجر حن لغربتنا
كان العمر بيمرق ع الهدى

ما في غيري وغيره والصدى
كيف اتغير بينا هالزمان
راح بليلة وغاب بها المدى.»

***

«لابد أن يكون هناك مأوى يذهب إليه المرء حين يشعر برغبة عارمة في ترك كل ما حوله حتى تنتهي الحروب داخله»

(مريم)

ظلوا يتكاثرون كلما تمر الليالي، يأتون في مكان: وأنا وحدي، في الجامعة، مع أسرتي، وفي الشارع، لم يتركوا مكانًا لا يظهرون به، وما كنت أعي ماذا يحدث، ظننت أنها مجرد تخيلات، مَن يصدق أن يظهر له أشخاص دون وجه ولا ملامح وهو فقط مَن يراهم ويلاحقون به، يمارسون يومهم كما نمارسه لكنهم ليسوا ببشر أبدًا! بدأ الأمر يزداد صعوبة وأصبحوا يمنعوني من القيام بأشياء تخصني، يقفون أمام باب غرفتي ليلا ويصرخون في أذني، أصواتهم بشعة، تخيفني أشكالهم، رباه لا تتركني..

ذهبت إلى أهلي وأخبرتهم بما يحدث وكأي أهل لم يصدقوا وظنوا أنني ربما أشاهد فيلمًا أتأثر به ليس إلا، ولا ألقي اللوم عليهم أنا أيضًا لم أكن أصدق..

كنت أقع مرات ومرات، وأتخيل أن هذه النهاية، أشعر أنني في القاع، وأسقط أرضًا، ما تمر ليلة إلا وهم حولي في كل

مكان وفي أي وقت، كنت أهلك مرات ومرات ولا أعلم متى سينتهي كل هذا، إنني مشوشة الفكر، وداخلي الكثير مما لا أستطيع شرحه، كأن ضجيج العالم بأسره يجتمع في رأسي، خائفة من كل هذا الهراء، الخوف الذي بإمكانه أن يقتلني، آهٍ كم أود أن أنزع هذا الشعور من قلبي، قلبي الذي يحتله الأسىٰ أشعر أن داخله نيران مشتعلة، قلبي أود أن أحتضنه وأغرس فيه الطمأنينة، أدّعي الثبات ولو نظرت لوهلة إلى عيناي لشعرت بطول نحيبي وشدة إعوالي.

قالت مريم هذه الكلمات عندما أتت إليها صديقتها، ظلت معها وجلست جوارها، كان كلما أصابها الفزع تطمئنها أنها معها، وتهدئ من روعتها، تمسح على رأسها بحنو وهي تقرأ لها القرآن حتى أنها تركت منزل أهلها وجلست معها وأقسمت ألا ترحل إلا حين تصبح مريم بخير.

إنهم الأصدقاء يأتون ليصنعوا لنا بداية جديدة، ويقدمون لنا كل الدعم والمساندة، فكانت مريم رغم الثقل الذي يحيطها لكن وجود صفا يهون عليها، كانت تيسر عليها كل شيء، تحملت تغير حالتها من الأسوء إلى الأكثر سوءً، ومن الخوف إلى الذعر والشكوك، كانت مليئة بالوهن تود لو تنهي كل شيء وترحل، لكن الله كان يبعث لها الأمان في هيئة أشخاص، كانت ترتل على آذانها آيات الله دائمًا

وكان صوتها عذبًا يندي لها الأذن ويرق له القلب، وكانت لها خير صديقة حقًا.

الأصدقاء لا يملون ولا يرحلون حتى وإن اجتمع بك سوء الكون، يحبونك لذاتك دون أدنى أسباب أو مميزات بك، صديقك من تستند إليه فتجد كتفه لا يميل، وذراعيه مفتوحة لك، وقلبه يرحب بك، حتى في ظلمات طريقك يكون هو نورًا لك ولو استطاع أن يحمل الشمس بين كفيه من أجل راحتك سيفعل.

اختر رفيقًا يرفق بقلبك ويرافقك لا يفارقك ولا يفرق بينكما أي شيء كان، يبقى معك مهما حدث وأينما تكون كما قال مسار إجباري «صاحب جدع كل ما احتاجه ميتأخرش، سهران معايا بيواسيني مبينامش»

***

«أبيع عمري كله لمن يعرف في ليالي الحزينة أن يطمئنني على الأشياء ويصالحني معه على نفسي»

وائل محروس.

«العالم لن يسير كما تخطط له ستصفعك الحياة عدة مرات وعليك أن تتقبل ذلك»

(سليم)

منذ أن مات أبي تولّت أمي تربيتي وكل أموري، أمي التي رفضت أن تتزوج ثانية حتى لا يأخذني أحد منها وعاشت أيامها ترعاني وتهتم بي وبكل ما أحب إلى أن تخرجت من كلية الحقوق كما كانت تريد وأنا الآخر كان حلمي أن أصبح وكيل نيابة لكن الحياة لا تعطينا كل ما نشتهيه.

بعد أن تخرجت وظننت أن حلمي يقترب تحقيقه إذا بي يتبخر الحلم من بين يدي ويذهب لغيري..

كان كل شيء مثاليا جدًا حتى أتى منتصر ذو السلطة الذي يعمل والده مستشارًا أما أنا فليس لدي أي سلطة وكما يحدث دائما قد عُين منتصر بدلًا مني رغم أنه لم يكن آهلًا بذلك.

حينها رأيت أن الحياة تغلق أبوابها في وجهي، وفقدت أملي في كل شيء، كل تعبي طوال تلك السنوات، وتعب أمي التي كانت تنتظر حلمي أكثر مني، هي التي تحملت كل شيء حتى تراني أحقق ما أرغب به كيف لي أن أكسر قلبها الآن

كما كسر قلبي، كدت أن يمتلكني شعور اليأس وجلست على مقهى كالكثير من الشباب العاطل، حالنا كحال بعضنا، جميعنا نعاني حتى نتخرج ونظن أننا للتو سنرتاح قليلا فنجد أننا داخل حرب الوظيفة وإلا نجلس عاطلين وفي الحقيقة لا تصدق أي من يقول لك «بكره ترتاح» لا راحة في الدنيا إنها دار شقاء.

لم يكن عليّ سوى أن أعود بخيبة أملى إلى المنزل وأحكي لها عما حدث..

وبينما أنا عائد وعلى وجهي كل هذا الحزن التقيت بصديق قديم كنت قد ابتعد عنه لأنه يتخذ طريقًا لا يرضى الله.

وكنت في حالة عقلي بها مغيبًا ولم أقاومه عندما أعطاني تلك الحبوب وقمت بالفعل بأخذها ولم أشعر سوى أنها تسير في جسدي كالنار تكاد تحرقني ولا أعلم متى ينتهي مفعولها هذا، جلست في الشارع حتى تيقنت أن مفعولها قد انتهى وذهبت إلى المنزل ودخلت إلى غرفتي أغلقت الباب ولم أفعل شيئًا سوى أن نمت كثيرًا، كلما كان يصعب عليّ أمرًا كنت أفر-هاربًا- إلى النوم كي لا أفكر في أي شيء ولا أتحدث..

حينما استيقظت وجدت أمي تسألني ماذا حدث، أخبرتها أنني أريد أن أظل وحدي قليلًا وأنني سأذهب وأحكي لها كل شيء عندما أستطيع أن أفعل ذلك.

مرّ اليوم ببطء شديد ثم ذهبت أخبر أمي بكل ما حدث وبما شعرت به حينما تعاطيت هذه الحبوب وطلبت منها أن تسامحني وعدت إلى غرفتي.

جلست أنا وضجيج رأسي الذي يحتله الكثير من الأفكار أتساءل إلى متى سيمضي بي الزمان وأنا أقف على الحافة لا أمضي خطوة للأمام؛ خوفًا من المضي خطوات أكثر للخلف، خوفًا من خيبات أمل مجددة، وخوفًا من هزائم أخرى.

لم تكن هذة الضربة الأولى التي تعطيها لي الحياة لكنها كانت أشد قسوة من كل الذي مضى؛ ربما لأنني لم أكن أتوقع ذلك أبدًا لكنها الحياة لا تقدم لنا الأشياء على طبق من ذهب، هكذا كل الأشياء التي أريدها لا تأتي، كأنني كنت أحلق عاليًا ووقعت أرضًا دون سابق إنذار.

***

متى كانت الرياح تأتي بما تشتهي السفن؟

صفعات الحياة قاسية ودائمًا تأتي بعكس ما نهوى وبعيدًا كل البعد عمّا نريد، لكن في ذلك حكمة لا نعلمها كما قال الله تعالى في كتابه **{عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون}**

صدق الله العظيم.

« الفصل الثالث »
(مازال فى الحكاية أسرار)

«وعيناك أذوب من حُسنها فأثمل وأتعجب أن العين خمر العاشقين»

(أنس)

مرّ شهران مُنذُ مجيئها وتظل كما هي، يحاول أنس والمُمرضة أن يتحدثوا إليها ويطلبوا منها أن تكتب لهم علىٰ الأقل حتىٰ ما يحدث لكنها لا تُجيبهم، لا تأكل إلا قليلًا ولا تقدر حتىٰ علىٰ الوقوف، اقترب إليها أنس وأمسك بِمصحفه وأعطاهُ لها قائلًا: جميعنا نُحاول أن نتعافىٰ، مازال جُزءً بداخلنا يحتفظ بكُل ذكرياته حتىٰ المُميتة، لكننا حين نلجأ إلىٰ الله لن يردنا مخذولين أبدًا، رافقي كتابه كلما شعرتي بحُزنٍ، ثم أخرج ورقة وعلقها علىٰ غرفتها ثم كتب عليها «إنَّ اللّٰه معنا» وذهب إلىٰ مكتبه.

جاءت ناهد فوجدت آماليا ساجدة لله وتبكي فلم تُرِد أن تقطع عليها هدنتها، فخرجت تنتظر حتىٰ تُناجي ربها في سلام، وأخذت تقرأ آماليا آيات من سورة يوسف ترتلها وتقرب المصحف إلىٰ قلبها وتقول « يا رب وقلبي»، بينما أنس جالِسٌ في مكتبهِ يحاول أن يصل إلى شيء يجعلها تتحسن أو على الأقل يبدأ العلاج معها وهو يعلم أنها لن تتعافى سريعًا

وأن الصدمات على قدرها من الألم تترك أثرها عالقًا لا يزول، يُفكر بِقلب مُعالج يشعر بما في نفسها وبِقلب مُحِب لا يتحمل أن يرى التي دق قلبه لها تتأذى دون أن يفعل شيئًا.

ذلك الحُب الصادق أن تُحِب الشخص لِذاته فقط، تحبه لأن عينيك رأته بعد أن كنت أعمىٰ ولأننا حينما نقع في الحب تقع قلوبنا أيضًا في مكانٍ آخر، ربما بيته أو الطريق الذي يسير به أو الشيء الذي تلمسه يديه، يقع قلبك عنده فقط.

أسمىٰ مشاعر الحب هو الحب النقي الذي يحدث دون أي ترتيب أو تعقيب، يهبه الله لنا رفقًا بقلوبنا التي أُنهكت وعوضًا عن كل الزيف في حياتنا، يأتي دون أسباب حتى أنك تجلس تفكر لماذا أحبه؟ فلا تجد إجابة سوىٰ أن قلبك له ينبُض.

ذهب أنس في الصباح كتب لها كما يفعل كل يوم قبل أن تستيقظ لتكون أول شيء تراه عندما تفتح عينَيْها وآهٍ من عينيها التي يُغرَم بِها قلبه، كتب لها: أنتِ قوية وستدركين ذلك وجميلة كما أنتِ دون أي مجهود، قرأتها آماليا وابتسمت بينما أنس يقف أمام باب الغرفة وكانت هذه المرة الأولى التي يراها تبتسم بها.

فهمس في نفسهِ قائلًا: كأن ابتسامتك شمسٌ، وكأنني لم تشرق شمسي إلا بين ثناياكِ.

حينها كانت أماليا تجلس في سريرها وهي تعلم جيدًا أن مشاعر أنس لها ليست عادية وبرغم أن ذلك يجعلها فرحةٍ لكنها خائفة، الخوف الذي يجعلك تبتعد عن أي شيء حتى وإن كنت تحبه، بل إنك تبتعد لأنك تحبه ولا تستطيع أن تتحمل خسارته فتُحافِظ عليه بعيدًا، في مقولة أخرى «تقول وداعًا وكل شيء فيك يريد أن يبقى» ولأنها تعلم جيدًا أنها مشوشة ومُتعبة وضجرها من العالم يزداد بينما هي مُنهكة من الحياةِ ومن نفسِها، تشعر أنها بِلا سكن أو مأوىٰ وكل الأماكن لا تسعها، وتقول في نفسها آهٍ يا أنس أنا بكُل دواخلي لا أستأنس إلا بِك، يُقال أن للمرء نصيب من اسمهِ وخالقي لم أكُن أصدق تِلكَ الكلمات حتى نظرت إليك، «أنس» كم أشعر بك ونيسًا لي في غُربة الليالي، طيفك الذي يأتيني يملك القدرة على مواساتي وأنا في أوج ذعري، عيناك.. عيناك الحنونة تبث الأمان في روحي، أنا وحدي تمامًا، فقدت كل الدروب ولم يتبقى لي شيءٌ، أشعر أنني فارغة من الجميع، عداك..

ظلت في صراع بين قلبها الذي يميل له وبين الخوف الذي يسكنها، بينما أنس قد تيقن من كل الملاحظات التي سجلتها الممرضة عن أفعال آماليا أنها مصابة بصدمة نفسية شديدة.

تركها حتى الليل ثم أحضر لها كوبًا من «الكاكاو» لأنه يساعد على رخي الأعصاب وهذا بالتأكيد تحتاج إليه، بدى على وجهه ابتسامة وهو يطرق باب غرفتها لتعتدل هي في جلستها، نظر إليها لثوانٍ ودون أي كلمة قدم لها كوب الكاكاو، ظهر على ملامحها التعجب وقالت في نفسها لماذا يأتي به إليّ كانت ناهد مَن تقوم بهذه الأشياء! أليس هناك مرضى غيري هنا؟ عجيب أنت أيها الأنس.

ابتسم أنس فشعرت بالخجل أيمكن أن يقرأ ما أقوله في عقلي؟ ما بكِ يا آماليا لا أحد يقرأ العقول فلتهدأي إذًا.

ولأنه يعلم جيدًا ما يدور في عقلها تحدث قائلا: أستطيع أن أشعر بكل ما دار في عقلكِ ليس لأنني أقرأ العقول بل لأنني أفهمكِ عندما أنظر داخل عينيكِ.

سأذهب الآن لأمر على باقي المرضى وحتى أعود لكِ عليكِ بتناول الكوب بأكمله وسأكفئكِ إن فعلتِ هذا، خرج أنس وظلّت تنظر إليه إلى أن اختفى طيفه من أمامها وتقول في نفسها لو أستطيع أن أتكلم لأخبرتك أنني

«أحب قربك».

أقع في مستنقع أفكاري كل ليلة وينتهي بي الأمر إلى نوبات الذعر المتكررة، داخلي الكثير والكثير من الحروب لكن معك يحل السلام، عزيزي الذي لم ولن يمر خلالي عزيز سواه، قلبي -الواهن- إنه بيتك ارتمي بين جدرانه متى شئت،

تعلم شيئًا؟ إنني كلما أفكر بك يهدأ الضجيج من حولي وتعتريني رغبة أن أتحسس ملمس يديك، وكلما حاولت أن أكتب تتحول كل الكلمات إلى قصائد ولا تكفيني كي أصفك، أيها الساكن بعمق روحي تعلم جيدًا أن كلمة منك قادرة على جعل الحياة في عيني كريشة في الهواء، كلماتك لي ترتب كل الفوضى التي داخلي، صوتك آهٍ إنه يعادل أفضل معزوفة وُجدت، عيناك أغرم بها كل مرة كأنها أول مرة، ما زلت أجهل كل الجهل كيف لبضعة حروف أن تصف شعوري معك؛ إنه يشبه تمامًا أن تنبت زهرة على وجهك تستخرج منها الفراشات رحيقها، لا أستطيع أن أبوح لك بذلك لكن صدقني أحرفي تفعل اليوم كتبت تعال أضعك في نص وكلما اشتقت إليك أتخيلك تأتي إلي من ثنايا السطور وددت فعل ذلك حقًا أن أجمع بينك وبين الكتابة لأنها الشيء الوحيد الذي يجعلني أحب الحياة ولأنك الحياة التي تصالحت معها بفضلك وصرت أحبها لأنك فيها، وأغلقت آماليا دفتر مذكراتها، وهي تفكر كيف تمضي وراء قلبها والخوف يسكنه.

***

أكره شعور الخوف الذي يمنعنا من فعل ما نحب فقط لأننا لا نتحمل الخسارة، في الحقيقة كل ما نقوم به في أي خطوة جديدة فهو مجازفة إما تنجح وإما تتحمل

خسارتها، لذلك إن كنت ستندم على شيء فاندم على الأشياء التي لم تقم بها؛ لذة المغامرة لا تُعوَض.

إن الصدمة النفسية (الجرح النفسي) يعني حدوث أذى في العقل يسبب حالة من الحزن أو الكرب أو التوتر، بالطبع تظن أنني أبالغ وتتساءل أكل من يصاب ببعض الحزن يتعرض لصدمة نفسية؟

تمهّل لتفهم مقصدي ولا تتجنب قراءة المقال لأنني أعلم بالفعل أنك تمل الآن.

في الحقيقة إن الحوادث المؤلمة يمكنها أن تؤدي إلى حدوث الصدمة النفسية خصوصًا إذا كان الحدث غير متوقع كموت شخص قريب بشكل مفاجئ وهذا ما حدث في حالة آماليا.

أعراض الصدمة عديدة ويود المرء حينها أن يتجنب الأشخاص والأماكن وكل ما يتعلق بالصدمة، أدركت الآن لماذا هربت آماليا فور الحادث؟ إذًا دعني أكمل مقالي.

يصاحب الشخص شعوراً بالقلق والحزن كما يواجه مشاكل في النوم واضطرابات في الشهية وصعوبة التركيز، ويفقد الشعور بالأمان ويشعر بمشاعر مزعجة ومشوشة، وذكريات مريرة حية وتطفلية لهذا الحدث، كوابيس متكررة عن الحدث، عدم القدرة على التعبير وربما يصمت لمدة، وقلق لا يزول،

حدوث نوبات ذعر بالتالي يهدد حياته وسلامته.

تحدثت لينة عاشور عن مراحل الصدمة النفسية وقالت أن الإنسان يمر بخمسة مراحل

بداية من مرحلة الإنكارلما حدث وعدم تقبله، مرحلة الغضب مما حدث وكيف حدث ذلك، مرحلة التفاوض، مرحلة الاكتئاب التي تجعل الأشخاص يبتعدون عن الحياة الاجتماعية ثم مرحلة الاستسلام وتظل الصدمة جزءا من تاريخ ذكريات الشخص أو ماضيه.

الجميع يتعافى من خلال الدعم النفسي حيث أن علاج الصدمة ممكن بمجرد عمل خطة لتغيير الحياة والمضي قدمًا من أجل التعافي من الصدمات النفسية فيحتاج المريض إلى حل المشاعر التي تجنبها وتفريغ الطاقة المكبوتة داخله ربما من خلال البكاء أو أي شيء آخر كما أن العلاج السلوكي المعرفي الذي يشجعك على تذكر الحدث الصادم والتعبيرعن مشاعرك حيال ذلك فيزيل الحساسية للصدمة وتقليل الأعراض.

كما أنه لابد من تناول نظام غذائي والاكتفاء بالراحة وممارسة الرياضة والابتعاد عن أي مصدرقلق أوتوتر.

***

«لا شيء يضاهي حجم الأسى حين تجد مَن تميل إليه وتتكئ عليه فيفاجأك القدر برحيله»

(روح)

تمر الأيام سريعًا لا أعلم حقًا متى مر عامان منذ وصولي إلى هنا، إنها آخر سنة لي في المرحلة الثانوية، عام من القلق والضغط النفسي والتوتر، وكلما قارب موعد الامتحانات زادت الرهبة لكن أخي شهاب هنا يجلس معي دائمًا، يشرح لي ما يصعب عليّ فهمه ويحضر إليّ الطعام ويهون ما أمر به حتى أنه كان يصطحبني كل يوم لنسير قليلا ونتحدث كثيرا ونستمع إلى الموسيقى وأركب دراجته ويتعالى صوت ضحكاتي من السعادة حينها ويشتري لي الحلوى وغزل البنات، مهما كبر سني تلك الأشياء الصغيرة التي نفعلها سويا تصنع لي حياة أخرى، حياة لم أكن لأشعر بها في فرنسا، العالم هناك مزيف جدا والجميع يتخفى وراء ثرواته التي يظن أنه يستطيع أن يفعل بها كل شيء كانت أمي توفر لي كل ما أحتاج إليه لكنها لم تفكر يومًا أني احتاج فقط إليها، أن تظل هي جانبي كأي أم تشعر بي وبما يدور في نفسي وتقترب إليّ، تتفقد حالي...

لقد كانت تمنحني حرية فعل أي شيء لكن هذا لم يرحني كنت أريد أن أشعر ولو مرة أنها تخاف عليّ كنت أفتقد الحب وأنا معها.

لم يتبقَ سوى شهر وينتهي الحلم سواء بتحقيقه أو بالوصول إلى غيره، لا أريد أن أفكر في أي شيء الآن ما يكتبه الله خيرًا حتى إن كان عكس رغبتي، «إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا» همّ بها شهاب في أذني عندما رآني شاردة بعض الشيء، فقمت استكمل دروسي وأنا أقول لن أبرح حتي أبلغ وسأستطيع أن أحقق ما أسعى إليه، والآن عليّ أن أؤمن بنفسي وأثق في الله ولا أحمل همًا.

جلست روح تنظم المكتب المليء بالمذكرات وكتب المراجعات والكثير من الورق الآخر ثم قامت بكتابة جدول هذا الأسبوع وعلقته في ركن الغرفة وأحضرت بعض الحلوى فكلما أنهت جزء من المذاكرة المتراكمة عليها تكافأ به نفسها.

اجتهدت روح وبذلت كل جهدها طيلة الشهر، لم تكن تنام الليل من فرط التفكير والأرق، لكن ما يصبرها أنها كانت تتوق للحظة النجاح، تتخيل أنها تقف وهي تحقق حلمها تلك اللذة في الوصول تنسيك كل ما مضى من تعب، بل تجعلك تشعر بالانتصار على كل من راهن على فشلك ، وتعلو في عين الجميع وفي عين نفسك أولًا، ولأن الفشل يقودنا إلى النجاح لذلك مهما تعثرت وقابلك صعوبات في

طريقك وفشلت في محطة ما فاعلم أنها ليست النهاية وأنك دائمًا تستطيع وحتمًا ستصل.

غدًا أول يوم في الامتحانات تجلس روح وشهاب ووالدها يحاولان أن يقللوا من خوفها وتوترها لكنها رغمًا عنها يصيبها القلق من كل الجوانب، وتأتيها هلاوس كلما حاولت أن تغفو ولو قليلا، فقامت تقرأ في مصحفها وتقيم الليل في مناجاة ربها وهي تعلم جيدا أن الله لن يضيع تعبها أبدًا..

رافقها شهاب إلى المدرسة وطمئنها قائلًا أنا أثق بكِ يا روح اهدئي لن يتعثر أمامك أي شيء بإذن الله وجلس شهاب أمام المدرسة يقرأ لها آيات من سورة يس ويدعو الله لها بالتوفيق واجتازت روح الامتحان وخرجت مبتسمة تراجع كل ما حلته مع شهاب الذي ينبهر من الثقة التي تتحدث بها، تجعلها تقنع أي شخص أنها على صواب وهي بالفعل في عينيه دائمًا على صواب..

أسبوع الامتحانات الذي لا يمر مرور الكرام أبدًا قد مر وانتهى اليوم، ويٍ يا شهاب أشعر أنني لم أكن أتنفس حقًا كم انتظرت هذا اليوم ورغم أنه ما زال هناك خوف من النتيجة لكنني أشعر أن كتفي خاليًا من الثقل، الآن سأنام طويلا ولن أستيقظ بعد ساعتين من النوم لأذاكر لا أصدق أنني بالفعل قد انتهيت من لعنة هذه السنة التي أخذت مني صحتي وراحتي وكل وقتي، أحمد الله كثيرًا أنها انتهت ثم

احتضنت شهاب وهي تشكره أنه ظل جانبها وتتمنى من الله ألا يفارقها حتى المشيب.

بعد أن عادا إلى المنزل طلبت روح من والدها أن تذهب للتصوير وحدها اليوم لأن شهاب كان لديه موعد وهي لا تريد أن تضيع لحظة الحماس هذه، وافق والدها وكانت هذه المرة الأولى التي تنزل بها روح شوارع الاسكندرية في المساء وحدها، لسوء الحظ صادفها أربعة شباب كان يبدو أنهم يتعاطون شيئًا من المخدرات، وارتجفت خوفًا حينما سمعت أحدهم يتحدث ملقيًا الحديث إليها، وأكملت السير وهي تحاول أن تخفي خوفها، وأخرجت هاتفها تتصل بشهاب وأخبرته أن يأتيها وأنها خائفة أن يسيروا وراءها وبالفعل قد حدث..

ظلت تمشي وهم وراءها حتى لحق بها أحدهم وحاول أن يمسك يديها ويتقرب بجسده إليها ولم يأتِ شهاب إلى الآن، نفرته روح وحاولت أن تفلت من بين يديه لكنه كان يقبض على يديها بقوة، صرخت لعل أحدهم يأتي وينقذها لكن لم يساعدها أحد وأخذوا يقولون تستحق ذلك انظر ماذا ترتدي ‹رغم أنها كانت ترتدي فستانًا يصل لركبتيها› وكأن المروءة لم تعد بين البشر وأصبحت القلوب مليئة بالخسة والدناءة.

ضربته بقدميها فوقع أرضًا وحينها رآها شهاب وأمسك به يلكمه في وجهه وعلى جسده لكن ألتف حوله أصدقاؤه

الثلاثة وأمسكوا بشهاب يضربوه وطعنه أحدهم في صدره مرات ومرات ثم هربوا جميعهم.

وصرخت روح وهي ترى الدماء تسيل منه، ظلت تصرخ إلى أن جاء شابٌ يناهز عمره الثلاثة وعشرين عاما أخذ شهاب وذهبا به إلى المشفى..

***

تخيل معي عزيزي لو كان هذا الذي طعن شهاب ومن معه لا يتناولون هذه العقاقير وفي كامل قواهم العقلية هل كانوا سيفعلون ذلك؟ بالطبع لا.

في الحقيقة إن أخطر ما يهدد الكيان البشري في عصرنا هذا هو انتشار تعاطي المخدرات؛ فإنها تفسد العقل بغية الابتعاد والهرب من حالة الوعي والإدراك للواقع الذي يعيش فيه.

في البداية يشعر الإنسان بأن مشاكله قد حُلَت ويعيش في أوهام وأحلام زائفة بينما يترك الحقيقة ضائعة وإذا استمعنا إلى شخص يتناول هذه العقاقير لوجدنا أنه يعيش كأنه في حلم يتخبط فيه.

عادة ما يقبل الإنسان تعاطي المخدرات تحت تأثير عوامل نفسية أو اجتماعية أو أي عامل له انعكاسات سلبية على شخصية الفرد وانفعالاته كما أن أغلب المدمنين هم

من أصحاب الشخصية المفككة أو السلوك السيكوباتي كما ذكر ذلك د. أحمد هارون.

وبسبب عدم وجود وعي كافٍ بين الشباب والفراغ الروحي والإيماني يفتش الشباب عن المخدرات وإنها ذات تأثير قوي على المخ والذي يتكون من آلاف الملايين من الخلايا العصبية تنقل نبضات عصبية على هيئة تيار كهربائي من جزء معين من المخ إلى جزء آخر ويتم الاتصال بين هذه الخلايا عبر فجوات تسمى المرسلات العصبية وعندما تثبت المواد الكيميائية عبر الفجوات تحمل معها رسالتها العصبية فترسل إشارة من جديد إلى الخلية المجاورة وهكذا تنتقل الإشارات والذي تفعله المخدرات أن توقف مرور التيارات العصبية على خلايا الدماغ مما يجعل الإنسان يشعر بحالة اللاوعي وعدم الإدراك بما يدور حوله.

كما أن لها أضرار ونكسات عضوية شديدة تدمر خلايا الجسم وأعضائه كما أثبتت أبحاث جامعة واشنطن التي أجراها دكتور أغوزكسيو، بالتالي إن إدمان المخدرات يكون سبب في زيادة الإصابات بحوادث وزيادة جرائم القتل والعنف والسرقة وغيرها.

***

«أنا وقلبي وحيدان الليلة تعساء جدًا منذ مدة طويلة
-تحديدًا- منذ غاب عنا شذى عطرك»

(زين)

منذ الصغروأنا أعاني فكلَّما رآني أحد ابتعد عني، وأنا في المدرسة لم أتعرف على شخص واحد يكن لي رفيقا كلما كنت أحاول أن أقترب منهم كنت أشعر أنني منبوذ بينهم رغم أنني ليس لي أي ذنب في شكلي الذي ينفرون منه.

وفي المنزل كلما كان يزورنا أحد يظل يتساءل لماذا أنا من بين إخوتي الذي أصبت بهذا وكيف والكثير من الكلمات التي كانت تؤذيني، حتى العائلة لم تكن تريدني من الأساس ولم يشعروا بي ولو مرة واحدة أو يفكروا بشأني قليلا «المجروح من عائلته لا يشفى أبدًا»

كنت أبكي كثيرًا وترمقني أمي بنظرات احتقاروتقول لي الرجال لا يبكون، حقًا هذا كل ما يهمك فقط! لم يخطر ببالك أن تعرفين سبب بكائي وعزلتي في غرفتي أيام وليالٍ.

أنتِ حتى لم يكن يشكل لكِ فارقًا إن مت وقولتها لي ذات يوم أنكِ تكرهين اليوم الذي أنجبتني به، كيف لهذا القلب أن يرقد باردًا هكذا!

أما أبي كان لا يعتبرني ابنًا له من الأساس ولم يكترث لأي شيء يخصني كأنني ليس لي وجود.

تعاقبونني على ماذا؟

أتعيبون الخلق أم الخالق؟

أين عقلكم الذي تغيب؟

وأين قلوبكم وأنتم تعاملوني بكل هذه القسوة؟

أمي لم أشعر يومًا أنها أم لي..

كنت أسألها ألم تحمليني تسعة أشهر في جوفك؟

ألم ينفطر قلبك عليّ وأنا أعاني؟

لا شيء أصعب من أن يجهل أهلك أنك تحتاج إليهم في الوقت الذي تتمنى أن يحتويك به أحدهم، يدمروك بقسوتهم في حين أنك تود أن ترتمي بين أضلعهم وأن تحظى فقط بعناق منهم هذا الذي ما لم تجربه من قبل.

كنت أترك المنزل على أمل أن أجد شخصًا واحدا يقبل بي لكن العالم خارج المنزل كان أكثر وحشية من داخله وكانت نظراتهم لي تفتت ما تبقى من مشاعري كنت أنظر إلى نفسي فأجد أن كل شيء يلتهمني من الداخل كما قال عمرو أشرف «كل شيء خارج حدود غرفتي مؤذي.»

مَن يستطيع أن يتحمل شعوره الدائم أنه غير مرغوب به في أي مكان وبين الجميع؟

آهٍ نور فقط أحبتني كما أنا وبكل عيوبي وكانت دائمًا تخبرني أن شكلي مختلف لا يشبه أحد وهذا شيء يميزني وعلى الجميع أن يقتنع بذلك وإن لم يقتنعوا فلا يهم، لا يهم سوى أن أقتنع أنا وأُقدر نفسي وأعززها حتى يقدرني الجميع كما أنا.

كنت أرى نفسي جميلًا عندما تنظر إليّ، منذ أحبتني وهي مرآتي أرى من خلالها كل الحياة من منظور آخر لم أكن أعلم أنه موجود سوى معها.

كانت تنبت في جروحي زهورًا وتداوي ندوب قلبي، دائما كانت تقول لي أنها تحبني وتكررها كثيرًا، وتخبرني أن جميع الأوقات تكفي عندما نكون سويًا، حتى أصبح كل شعور بي لها، وكل العالم أصبح لا يعني لي دونها، عندما كنت أحكي لها عن العالم الذي لا يقبل بي كانت تقول «إن كنت أسوء شخصًا بالعالم فأنا أرغب بك» كانت كلماتها بمثابة اعتذار عن كل ما يؤذيني، كنت أترك كل شيء وأذهب إليها كأنها مأمني من بين هذا الهراء الذي يحدث..

قضينا ليالٍ عدة نضحك تارة ونبكي تارة أخرى ونصمت معًا، لم تكن تفعل شيئا إلا ونتشاركه سويا لكن في نهاية المطاف لم يعد يبقى سوى ذكريات عالقة بي منذ أن غابت عني.

***

أسوء عدو للإنسان ذكرياته. .

شاهدت فيلمًا قصيرًا ذات مرة كان يحكي عن الحياة في عالم آخر يكون فيه الجميع دون ذكريات ويأخذون نوعًا من الأدوية يجعل مشاعرهم لا تتحرك، لا تلامس بين الجنسين، الحاكم يختار مَن يتزوج من مَن، بعد أن ينهي الطلاب دراستهم الحاكم أيضًا يختار مهنة لكل منهم، كل شيء مفروض عليهم، العلاقات بلا عناق ولا قبلة، لا وجود للحب من الأساس، إلا شخصًا واحدًا يحمل كل الذكريات من آلاف السنين، يفهم معنى الحب ويقدسه، وبهذا يورثه للذي سيأتي بعده، أذهلتني الفكرة في البداية لكن كانت نهايته واقعية بالنسبة لي، حينما تم اختيار حامل الذكريات الجديد وفهم أن هنالك الكثير من المشاعر لم يذقها بعدها قرر ألا يأخذ ذلك الدواء تعلم ماذا حدث؟ يومًا وراء يوم دق قلبه لصديقته شعر أنه يحبها وحين رآها قبّلها وحينها صاح بهم أن يعيدوا لكل شخص ذكرياته.

المغزى وراء قصة الفيلم أن الذكريات التي نظنها -بجهل منا- مأزقًا في حياتنا لن يكون للحياة معنى دونها، هي جزء من ماضيك وأنت جزء منها.

يطوف في ذهني أغنية لأم كلثوم «وافتكرت فرحت وياك قد ايه وافتكرت كمان يا روحي بعدنا ليه بعد ما صدقت إني قدرت أنسى، بعد ما قلبي قدرينساك ويقسى جام في لحظة وفكروني كانوا ليه بيفكروني»

لكنني حتى لم أستطع أن أقنع قلبي أن ينساكِ ولم تزره القسوة لطالما أنكِ داخله.

قرر زين أن يذهب إلى القاهرة لأنه يعلم جيدًا أن والدتها لن تذهب بها إلا لمنزل جدتها وقد أخبرته مسبقًا أنها تريد أن تستقر هناك.

وأحضر حقيبته ولم يعقب على قراره أحد من المنزل بل شعر زين أنهم سعداء أنه سيرحل من المنزل، على أي حال هو الآخر لم يعد يتحمل البقاء معهم، ذهب زين إلى القاهرة لكنه لا يعلم عنوان منزل جدة نور والقاهرة ليست غرفة وصالة حتى يستطيع أن يعثر عليها بل إن الأمر سيتطلب الكثير من الوقت والجهد.

ومنذ أن وصل وهو يبحث عنها في كل مكان ولكنه لا يجدها، كلما يطوف في شارع يجد صوت محمد عبدالرحمن في أذنيه وهو يقول « يا مَن هواه أعزّه وأذلني كيف السبيل إلى وصالك دُلني» ولا ينجو من عدم تقبل العالم له وهذه المرة نور ليست هنا فلا يجد من ينظر إليه ليرى نفسه جميلا.

خلال ثلاثة أشهر من البحث عنها في أنحاء المحافظة قد تعرض زين للكثير من المضايقات وكان يجلس أيامًا في المنزل لا يخرج منه لا يكترث لشيء ويدخن بشراهة.

لو أن الجميع كان تعامل معه كأي مرض يصيب الإنسان لما وصلنا إلى هنا، منذ أن وُلِد زين وهو مصاب بالبهاق في وجهه ويديه وجسده بأكمله، في القديم كان مَن يصاب بذلك المرض يلقونه خارج البلاد، والآن يتنمرون على من يصاب به!

البهاق هو مرض مكتسب عَرَضُه الوحيد، هو بقع فاتحة اللون على الجلد، إن نسبة انتشار المرض هي واحد في المئة بين مجموع السكان في جميع أنحاء العالم، يبدأ المرض لدى أكثر من خمسين بالمئة من المصابين قبل جيل العشرين.

ظهر منذ القدم وكان هناك تحفظ في كل الحضارات من حاملي المرض، وفي الغالب كان يتم نفيهم خارج المجموعة السكانية، ويكون سبب الإصابات تضررًا بالخلايا الميلانينية بالخلايا المنتجة للميلانين – مادة اللون للجلد، يكون هناك نقص بالميلانين بسبب نقص الخلايا الميلانينية.

تكون أعراض البهاق كالتالي: بقع فاتحة اللون تميل للأبيض – كالحليب، قد تظهر أعراض البهاق في أي مكان في الجسم، ولكنها في الغالب تظهر في بداية المرض في محجر

العين، أو الركبتين أو قد تظهر في مناطق احتكاك أخرى، ويكون انتشارها عادة متماثلاً.

يظهر البهاق بشكل أوضح في الوجه وعلى ظهر اليد، عند التقدم في العمر تكون الإصابة ثابتة لفترة معينة، وتتقدم ببطء مع الوقت، ولكنها تبقى أحيانًا إصابة (Focal vitiligo)أو فرعية، أو موجودة في مناطق عدة – بهاق عام (Generalized) أو منتشر (Universal).

تظهر أحيانًا هالة فاتحة اللون حول شامة في الجسم، وتظهر أعراض البهاق المميّزة عند تزايد هذه أحيانًا.

إن النظرية المقبولة لتفسير مرض البهاق، هي كون سبب المرض متعلقًا بعملية مناعة ذاتية، وذلك لترافق المرض مع العديد من الأمراض الأخرى ذات الخلفية المناعية الذاتية.

يكون البهاق أكثروضوحًا لدى أصحاب الجلد الغامق، وذلك بسبب تباين الألوان، يبدأ البهاق بشكل عام في منطقة مكشوفة من الجسم، بعد التعرض لصفعة شمس في الربيع أو إصابة، تختلف الإصابات في حجمها لتتفاوت بين مليمترات قليلة إلى مساحات واسعة، وتكون الحدود حادة مع أطراف مفرطة اللون، لا يصاحب البهاق أي اضطراب آخر، لكنه من الشائع حدوثه نتيجة اضطراب انفعالي، لا يوجد إثبات على أن البهاق يعود إلى عامل نفسي، كما أنه

لا يوجد أي أساس للافتراض بأن البهاق يترافق مع عملية خبيثة (سرطانية) كامنة.

***

«أجلس في فراشي مغلقًا كتبي وهاتفي وأنتظر طيفك الذي لن يأتي أبدًا»

(مريم)

أحن ملاذ أنت يا جدي كنت أذهب إليك حينما ترهقني الحياة فيحلو بك قبحها، لكن الموت لا يعرف عزيزًا ولم أفكر أنني سأستيقظ يوما ولا أجدك! لطالما تمنيت أن تبقى معي حتى تراني بكلية الطب كما كنت تريد. كنت أقرب إليّ من روحي، كنت الملجأ الوحيد، ما زلت أتذكر كلماتك حينما كنت تداعبني وتحملني بين ذراعيك، وتحميني حتى من نسمات الهواء، لقد تحطمت بفراقك يا جدي ولو تعلم فأنا تائهة منذ تلك الليلة اللعينة حين طرقت بابك لأتحدث إليك وأحكي لك ما حدث، وأخبرك أنني أتممت أول عام لي بكلية الألسن، واجتزت السنة بامتياز، وقد تبقى خطوات قليلة على حلمك أن تراني كما تمنيت، لم يخطر ببالي لوهلة أنك سترحل وتتركني وحيدة! حفيدتك انقسم قلبها إلى نصفين منذ ذلك الحين يا فقيد روحي، تمنيت أن تظل جواري دائما ولا ترحل، كنت أفيق من نومي لأجدك أمامي تنتظر حتى أستقيظ ونذهب للبستان سويًا، لم يتبقَ لي منك إلا بضعة

ذكريات عالقة برأسي أحفظها عن ظهر قلب، أدعو الله دائما لك وأذهب إلى قبرك وأبكي وأحكي لك كيف أن الحياة صارت لا تُحتمَل دونك

ظل عقلي غير مدرك لما يحدث، كيف مات؟

أحقًا لم أعد أراه ثانية؟

ألن يتحدث معي مجددا؟

ألن أذهب إلى المنزل فأجده؟

لا لا أنتم تمزحون ربما يكون غاضبا مني قليلًا ولا يريد أن يراني الآن لكنه لن يرحل ويتركني أبدًا

قل شيئا يا أبي أرجوك قل أنهم يكذبون وأنه لم يفارق الحياة بربك يا أبي لا تقل أنه مات هو لم يخبرني أنه سيرحل ولم يخبرني ماذا عليّ أن أفعل بعد رحيله!

قالت مريم تلك الكلمات وهي تبكي تتوسل إلى والدها أن تراه لتتحدث معه وتخبره عما يقولون عنه، ظلت أشهر لا تصدق أنه قد مات، تذهب إلى غرفته وتبحث عنه في المنزل وتجلس في سريره على أمل أن يأتي. كانت تصرخ بوجه كل من يقول لها أن الميت لا يعود، لا أحد يفهم كل الإرهاق النفسي الذي وصلت له وأنها تحاول مرارا أن تقنع عقلها ليصدق ويتجاوز ألم موته الذي يأبى أن يخرج من داخلها، لا أحد يفهم كم الحزن والتعب وشعورها بالوحدة الذي يسكنها.

كانت تجلس مريم في سريرها ثم خُيّل إليها بشيء يمشي سريعا وتكرر ثانية فقامت من سريرها تنظر بتمعن فلم ترى له أية ملامح فاستعاذت بالله وجلست تقرأ القرآن.

لكن الأمر يزداد كثيرا وحين ذهبت إلى أهلها لم يصدقوا حديثها وهي حتى لا تعلم ماذا تقول وما هذا الذي يحدث لها ولماذا لا يظهر إلا لها..

لم يقتصر الأمر على شخص واحد يظهر لها بل إنهم كل يوم يتكاثرون وهي ليس بيدها حيلة.

لا أعلم من أين حل بي كل هذا ولا أدري كيف تمكّن مني ، أنا لست على ما يرام هناك غصة تنهشني مرارًا، ولا أعرف كيف أنجو منها، لم يعد لدي القدرة أن أقاوم، هنالك حروب تُقاَم داخلي وتهدم جميع رغباتي تجاه الحياة، أشعرت يومًا كيف يقف المرء أمام هزائمه منكسرًا؟ ألا يكفي أن يمسي الإنسان وحيدًا مع آلامه ولم يكترث له أحد؟ لقد سيطرت عليّ تلك الندبات ولم أستطع حتى أن أبوح بذلك، أنا الآن غارقة في أوجاع لا مثيل لها.

لا يوجد داخلي سوى بقايا روح يحتلها الآنين، أشعر كأني عالقة ما بين الموت والحياة، لا أعلم أين المهرب من كل هذا، قلبي لم يعد به جزء واحد إلا وقد تحطم، في كل لحظة تمر أشعر بشيء يمزق روحي وهم يلاحقوني، سأهلك بسببهم ..

مَن يتحمل قلقي المفرط، تشتتي الدائم وخوفي الذي يسكن داخلي ولا يزول؟
على أمل أن نحظىٰ ببعض الطمأنينة يا الله.

«أن أمضي دون قلقٍ أو توجسٍ يُضعف كاهلي، أن تَجد روحي سكينتها وتهدأ، آمين»

هدير علاء.

ثم قامت صفا لتبحث عما يحدث لها حتى قرأت أن كل تلك الأعراض التي تحدث لها ما يسمى بالفصام «ذهان»

***

(أو: الانفصام العقلي – Schizophrenia) الفُصام
اضطراب حاد في الدماغ يشوه طريقة الشخص المصاب به في: التفكير، التصرف، التعبير عن مشاعره، النظر إلى الواقع ورؤية الوقائع والعلاقات المتبادلة بينه وبين المحيطين به، الأشخاص المصابون بمرض الفصام (وهو المرض الأصعب والأكثر تقييدا من بين جميع الأمراض النفسية المعروفة) يعانون بشكل عام، من مشاكل وظيفية في المجتمع، في مكان العمل، في المدرسة وفي علاقاتهم.

قد يسبب مرض الفصام للمصابين به الخوف والانطواء على النفس، الفصام هو مرض مزمن، يلازم المصاب به طوال حياته، لا يمكن معالجته، لكن يمكن السيطرة عليه بواسطة العلاجات الدوائية المناسبة، فليس الفصام انفصاما في الشخصية، بل هو عبارة عن اضطراب نفسي، (ذهان – Psychosis) لا يستطيع الشخص المصاب به التفريق بين الواقع والخيال. وقد يحدث أحيانا أن يفقد شخص مصاب باضطراب نفسي ارتباطه بالواقع.

يهيأ للمصابين بمرض الفصام أن العالم المحيط بهم مركب من خليط كبير من الأفكار، المناظر والنغمات. وقد يكون السلوك المميز للأشخاص المصابين بمرض الفصام غريبا جدا، بل مرعبا أحيانا، التغيير المفاجئ الذي يحدث في شخصية المريض، أو في سلوكياته، والذي يجعله يفقد أية صلة مع الواقع، يسمى «المرحلة الذهانيّة»

فيصاب الشخص بانعدام الإحساس أو التعبير عن المشاعر، أفكار وحالات مزاجية لا تتلاءم مع الوضع القائم (مثلا، الإجهاش بالبكاء بدلا من الضحك عند سماع نكتة)

هناك عدة أنواع للفصام:

فصام المطاردة(فصام زوراني): الأشخاص الذين يعانون من فصام المطاردة يكونون غارقين في أوهام عن أنهم ملاحقون من قبل شخص آخر أو طرف معين ومع ذلك تبقى

طريقة تفكيرهم وكلامهم عادية جدا.

فصام لا منتظم: الأشخاص المصابون بهذا النوع من الفصام يعانون من الشعور بالارتباك ومن مشاكل في الاتصال والتواصل مع الآخرين كما يعانون من الكلام المتلعثم وغير الواضح مع الآخرين فيظهرون كأنهم عديمو المشاعر وربما يفعلون تصرفات غير ملائمة وسخيفة.

فصام متبقي: هذا النوع تكون أعراضه تتقلص على الهلوسة والأوهام كما يحدث في حالة مريم.

أعراض الفصام تبدأ من التغييرات التي تحدث في شخصية المريض وقدراته على إظهار تلك التغييرات في أوضاع مختلفة، ثم تبدأ الأوهام والهلاوس، الارتباك والبلبلة الخاصة بالفصام فيقوم الشخص بتركيب جُمل غير منطقية أو كلمات غير ذات معنى، كما يتصف ببطء في الحركة، عدم القدرة على اتخاذ القرارات، ينعدم الاحساس عن المشاعر كما يقوم بالانسحاب من الحياة العائلية، حياة المجتمع والنشاطات الاجتماعية، نقص في الطاقة، نقص في الدافعية، فقدان المتعة أو الاهتمام بالحياة، عادات صحة سيئة وعناية منقوصة، مشاكل في الأداء الوظيفي، سواء في المدرسة أو في مكان العمل أو في نشاطات أخرى.

المزاجية (المزاج المتقلب – الحزن حتى الاكتئاب أو الفرح، أو حالات مزاجية متقلبة)

فتور الشعور (جمود) – حاله يبقى فيها الشخص في نفس الوضعية بشكل دائم لفترات زمنية طويلة جدا.

أسباب الفصام: يمكن أن يصل الشخص به سبب الوراثة، أو عمليات كيميائية في الدماغ وخلل في بنية المخ وهذا ما أرجحه.

علاج الفصام: يهدف علاج الفصام إلى تقليل الأعراض، تخفيف حدتها وتقليص احتمال تكرار الفصام، أو رجوع الأعراض من جديد عن طريق المعالجة الدوائية، المعالجة النفسية، التأهيل الذي يتركز في تطوير المهارات الاجتماعية والتدريب على الاندماج وأداء المهام والتعايش قدر الإمكان، كما أن مجموعات الدعم من الأهل والأصدقاء أكثر ما يساعد الشخص المصاب به، كما أن هناك معالجة بالتخليج الكهربائي ومعالجة نفسية في نسيج الدماغ إذا لزم الأمر.

***

«ربما تعلن الحياة الصلح معنا ولو مرة واحدة ويحدث ما يتلهف له قلبنا»

(سليم)

كأن الأشياء تمر فوق صدري ببطء، كأنني أحمل ثقل العالم في قلبي، روحي عارمة بدمار هائل لا مثيل له، الأمر أصعب من مجرد حزن، لقد تمكن مني اليأس، خائف من أن أحاول مرة ثانية وعندما يكون بيني وبين الوصول خطوة ولا أصل، كلما كنت أحلم بشيء كنت أراه يفلت من بين أصابعي حتى انتهى عمري في توديع كل ما لم أحصل عليه، أنا من هؤلاء العالقون بين الشيء وضده، الاكتراث واللامبالاة، الشعور واللاشعور، الحزن هو الشيء الوحيد الذي لم أرَ ضده، لا أتذكر لحظات السعادة التي مرت عليّ، حتى ابتسامتي تخلّت عني ورحلت منذ مدة، لم يعد يهمني كيف يراني البشر، وكيف بهتت ملامحي، أصبح وجهي شاحبًا، أسفل عيني يعمُ السواد، لم أنتبه إلى وزني الذي أنعدم، ولا إلى تساقط شعري، ورعشة يديّ الدائمة، هذا السواد ينبعث من داخلي، أنا شخص سوداوي، سجين بين جدران غرفتي، هزيل للغاية، يبدو أنني نسيت كيف يمضي

الإنسان أيامه، أين أنا؟ ومَن هذا الذي أصبحت عليه؟ كيف صارت بي السُبل إلى أن أنظر في المرآة ولا أعرفني! ما لتلك الحياة حادة وساخطة عليّ كأنها تتلذذ حين يحتلني الألم، ما كنت يومًا هذا الشخص، لا أعلم كيف وصل بي الحال إلى هذا الحد من نوبات الحزن، صرت حتى لا أفكر في أمي ولا نفسي، إلى متى سأظل مغلقًا باب غرفتي على نفسي كما أغلق العالم بابه في وجهي!

لم أكن ضعيفًا يومًا وعلمتني أمي أن أقف في وجه الحياة حتى أصل.

كيف فقدت تلك القدرة وهربت أبكي خيبتي؟

أنا الذي يعرف عني أنني بشوش دائمًا حتى في أصعب أوقاتي

كيف عبست كل هذه المدة؟

هذا ليس أنا ولست راضيًا عن حالي الآن وعليّ أن أفعل شيئًا يعيدني لحال أفضل مما أنا عليه ويعيد لمعة الحياة في عيني من جديد كي أمضي دون تعثر.

نوبة اكتئابي هذه المرة أصعب من أي مرة، وأشد قسوة مما مضى لكن يكفي هذا القدر من الحزن.

قمت مسرعا أفتح شباك غرفتي ليتسلل الضوء إليها بعد أن غاب، أعدت تنظيمها من جديد، قمت بتغيير الكثير من الأشياء بها: لون الحائط، مكان السرير والمكتبة،

تغيير المكان الذي نعيش به أو على الأقل صنع أشياء جديدة داخله يشعرنا بالرضا والراحة.

عزمت أن أمضي طريقي مهما تعثرت، وقلت لنفسي أن حلمًا ضاع مني لكن هناك الكثير من الأحلام يمكنني تحقيقها الآن

القاعدة المعروفة « إن لم تنجح الخطة «أ» فالأبجدية تمتلك ثمانية وعشرين حرفًا»

قالت لي صديقتي (ريم) ذات مرة «الشيء الذي يحزنك إن لم يكن يؤثر في حياتك على مدار خمس سنوات قادمة فلا تحزن عليه سوى خمس دقائق فقط «

معادلات الحياة لا تسير كمعادلات الهندسة الوراثية التي تكون النتيجة معروفة ولا يُحتمَل أن تتغير، معادلات الحياة تفوق كل توقعاتنا دائمًا.

ذهبت إلى أمي وأخبرتها أنني قررت أن أعمل في المحاماة وأن هذا أفضل لي، وافقتني أمي في قراري ورحبت به داعية الله لي بتيسير الأمور ومنحتني الكثير من كلمات الدعم التي زادت من حماستي.

إن كلمة واحدة تأتيك من أهلك تكون لك بمثابة الدنيا.

***

إذا لم يتمكن (سليم) من الخروج من نوبة اكتئابه تخيل إلى أين كان سينتهي به الأمر؟

إن الاكتئاب مرضٌ قاس وعصيب قد يشكل عبئًا ثقيلًا وإن لم تتم معالجته قد يتدهور إلى حد العجز، كما أنه ثاني الاضطرابات النفسية انتشارًا، ويؤدي إلي مشاكل عاطفية وسلوكية وصحية وله الكثير من المخاطر مثل الانتحار، والادمان على الكحول كما فعل (سليم) حينما لم يحظَ على وظيفة.

إن المعاناة التي تسبب الاكتئاب النفسي أصعب من أي اضطرابات نفسية أخرى..

***

« معاناة نتيجة »

قد تشعر أنك غير مقبل على الحياة، لا تريد الاختلاط مع من حولك وتفضل العزلة والاستسلام لليأس هنا فعليك أن تنتبه لأنه قد يؤدي بك الأمر إلى الاكتئاب. إن الصحة النفسية تُقاَس بمدى تكيف الإنسان مع المجتمع وقدرته على التعامل مع المشاكل أو الأزمات وحينما يُصاَب المرء بنوبات الاكتئاب فيظهر عليه الشعور بالحزن وفقدان الحماس بالموضوعات التي كانت تشغله وقد يتطور الأمر إلى أن ينغمس في التفكير والتهويل لدرجة أنه يلغي حياته ويحبس نفسه في دوامته التي لا تفترحتى تغوص به إلى الأعماق التي لا قرار لها كما ينتابه احساس بالتعاسة والافكار غير السارة وتضعف طاقته.

أهم الاسباب: وجود أقارب مصابين بمرض الاكتئاب حالات انتحارية في العائلة، أحداث مسببة التوتر في الحياة، مزاج اكتئابي في فترة الصباح.

أعراض الاكتئاب: إحساس بالعصبية والكآبة وانعدام الامل، نوبات من البكاء بدون سبب، اضطرابات في النوم وصعوبات في التركيز واتخاذ القرارات، زيادة أو نقصان

الوزن بدون قصد، قلق وضجر وتعب وإحساس بالوهن، مشاكل جسدية بدون تفسير مثل

أوجاع الظهر أو الرأس والرقبة.

أنواع الاكتئاب متعددة لكن أكثرها انتشارًا اضطراب ثنائي القطب وكان يُسمَى سابقًا الذهان الهوسي الاكتئابي: يتميز بمزاج متقلب من النقيض إلى النقيض.

اضطراب المزاج الدوري: أحد أنواع اضطراب الإحكام.

الاكتئاب الجزئي: هو أقل حدة وصعوبة لكنه مزمن أكثر من الاكتئاب.

اكتئاب ما بعد الولادة: يظهر عند بعض النساء بعد ولادتهن أطفالًا جديدة.

الاكتئاب الذهني: اكتئاب حاد وصعب ترافقه أعراض وظواهر ذهانية مثل الهلوسة.

اكتئاب الشتاء: مرتبط بتبدل الفصول وبالتعرض غير الكافي لأشعة الشمس.

طرق علاج الاكتئاب:

الأدوية العلاج النفسي هو اسم شامل لمعالجة الاكتئاب من خلال المحادثات مع المعالج النفسي حول الوضع وحول الأمور المتعلقة به.

التخليج الكهربي: هو إرسال كهرباء إلى الدماغ لعمل فيضانات من المشاعر..والدعم من قبل الأصدقاء والأهل يساعد على التعافي من الاكتئاب.

***

الفصل الرابع
(قبل النهاية بخطوتين)

«الليل بين يديكِ يصير صباحًا هانئًا يغرد كما الأشجار
فكيف لا يحلق قلبي أمام عينيك»

(أنس)

«ليس هُناك إلا هذا الحل لن يحدث شيءٌ سيئ هذا سيساعدها» قالها أنس للمرضة التي أتفق معها على أن يشعلوا النار في غرفة (آماليا) ظنًا منه أنها لن تصمت حينها، مهما كانت تلك الصدمة التي تمربها أمام هذا الموقف هي لن تصمت أبدًا، ثم أتفق أن يكون هناك فريق إطفاء وطلب من الممرضة ألا تعطيها المهدئ اليوم؛ حتى تستيقظ سريعًا وقت الحريق ولا يُصيبها مكروه، وعندما نامت (آماليا) ودخل (أنس) وأشعل النار بِسجادة الغرفة وبِالأريكة وخرج وأقفل الباب وقلبه يرتجف خوفًا، مرّ خمس دقائق حتى أفاقت (آماليا) على رائحة الحريق وظلت تطرق على باب الغرفة وصرخت كثيرًا صرخت لأول مرة وبكت حتى دخل رجال الإطفاء ووقعت (آماليا) مغشيًا عليها، نقلتها الممرضة إلىٰ غرفة أخرى وأعطتها المهدئ وظل أنس يجلس جانبها ويقرأ آيات من سورة البقرة ويدعو لها أن تصبح بخير.

استيقظت (آماليا) فوجدت (أنس) نائمًا على كُرسيه جوار سريرها، وأتت الممرضة لتطمئن عليها وجلبت لها الإفطار فشعر بها (أنس) الذي كان أول ما قاله لها هل أنتِ بخير؟ أعتذر لكِ عما حدث أنا فقط فكرتُ في ذلك ظنًا مني أن الصدمات تُعالج بِالمواجهة وأننا حينما نكون في مواقف يحتم علينا بها شيئًا سنفعله، لكن لم أفكر أن هذا سيؤذيكِ..

فقالت (آماليا) لأول مرة:

كان اليوم يُصادف مُناسبة يوم ميلادي وكان أبي وأمي يُجهزان إليّ مُفاجأة لذلك طلبوا مني أن أذهب إلى منزل إحدى رُفقائي، لكنني كنت أعلم أنهم يصنعون لي شيئًا مُختلفًا هذا العام، ذهبت إلى رفيقتي التي وجدتها هي الأخرى تحضر لي هدية صغيرة وبعض الحلوىٰ والكعك الذي أحبه وهنأتني هي وعائلتها ثم حدث ما لم يكن متوقعًا أبدًا، هاتفني أحدهم قائلًا: النار اشتعلت بالبِناية، لم يستطع أحد أن ينقذهما.» فلم أشعر بنفسي سوى أنني أجري مهرولةً إلى بيتي وحين وصلت رأيت البناية.. كانت مُحترقة وداخلها أبي وأمي مُتفحمين من النار لم يستطع عقلي أن يستوعب ما أراه وما يقال ونظرات الناس لي بشفقة وحسرة عليّ، وددت لو كنت مكانهم واحترقت البناية بي وحدي؛ لم أتحمل رؤيتهم بهذا الشكل، كان قلبي يتمزق تمزيقًا حينها، أتت سيارة الإسعاف

والمطافئ، أتوا بعد ما انتهى كل شيء وكان ذلك بمثابة انتهاء روحي.

لم أتفوه بِكلمة واحدة، تركت كل شيء ومشيت لا أعلم إلى أين ذاهبة، فقط مشيت طويلًا طويلًا حتى نزفت قدماي ووقعت أرضًا، لم أكن بالقوة التي تجعلني أتماسك أمام هول موقف كهذا وخالقي لم أكن بهذه القوة، أبي وأمي دُفعة واحدة آهٍ كان دمعي يذرف مني رغمًا عني حين يُخيل لي أنكم ستفارقونني كُنت أجلس أدعو الله أن لا أرى فيكما شيئًا يؤذيني، ما كنت أتخيل يومًا أنني سأُترَك وحدي أنا وخيباتي وصدمتي، إن فراقكما لم يكن هينًا أبدًا، أنا التي كنت أستمد منكما قوتي وأماني كيف رحلتما عني، كيف تتركون كل الندوب بقلبي وكيف أواجه الحياة بفقد مروع هكذا الذي حدث لي.

تمنيت لو لم يكن هناك مساحة للفراق والموت.

علمتِني كل شيء يا أمي لكنك لم تعلميني كيف أعيش في الحياة بدونك وكيف أن أسميها حياة من الأساس ومن يُعينني عليها لم يعد هُنا.

أبي العزيز لطالما كنت رفيقي أكثر من كونك أبي، كنت لي الحبيب والصديق والأخ وكل شيء، منذ نعومة أظافري وأنت معي، حينما كانت توبخني أمي وتقول لك أنني أتدلل عليك كثيرًا كنت تقول لها دعيها تفعل ما يحلو لها إنها صغيرتي

المدللة وستظل دائمًا حتى أن أمي كانت تشعر بالغيرة مني أحيانًا لأنك تأخذني معك في كل مكان وتظن أنك تحبني أكثر منها ومن ثم نعود إلى المنزل وتقبّل يديها فترسم على وجهها ابتسامة دافئة ككل شيء في منزلنا الصغير المشبع بالحب والعطاء والمليء بالحنان الذي كنتما تصبونه داخلي.

آهٍ لِفراقكما الذي يكوي فؤادي، آهٍ للنار التي تشعل صدري ولا أستطيع تطفئتَها.

حينها بكى (أنس) وبكت الممرضة وبكى كل من في الغرفة ثم نظر إليها (أنس) وهو يعلم أنها لن تنسى ولن تتعافى من تلك الصدمة سريعًا وستظل ترتعب كلما رأت نارًا أو حريقًا ولكنه يعلم أنها فقط الآن كل ما تحتاج إليه أن تطمئن، أن يقل شعورها بالوحدة فَهمَّ في نفسه أن يبوح لها بِحبه في أول فرصةٍ.

اقترب منها قائلًا: أنا معِك، وسأظل هُنا حتى تتعافي تمامًا وأنا أعلم جيدًا كم أن شعور الفقد مُهلك لكن عليك أن تستعيني بِالله وترضي بقضائه والله لن يُضيعك أبدًا

وأعدك أن نذهب إلى المدافن ونزورهم في أول فرصة تستطيعن فيها أن نفعل ذلك.

مرت الليالي و(آماليا) تستعيد نفسها رويدًا رويدًا وجوارها (أنس) يربتُ على كتفها وهي تشدد به أذرها ويعينها على ثقل الأيام، كانت (آماليا) كل يوم يزيد إمتنانها

ومشاعرها نحو (أنس) الذي أتى كأنه روح لروحها، كتبت في مذكراتها «لا راحة هنا فقط من صوتك الحنون تأتي السكينة ومن عينيك يحل السلام» في الخلفية صوت أم كلثوم وهي تغرد «عمري ما شوفت حنان في حياتي زي حنانك ولا حبيت يا حبيبي حياتي إلا عشانك، وقابلت آمالي وقابلت الدنيا وقابلت الحب أول ما قابلتك واديتك قلبي يا حياة القلب»

بينما كان (أنس) يبحث عن المكان الذي دُفِن به والديها بعد أن أخبرته (آماليا)عن أسماء والديها وأنهم كانوا يسكنون في حي القاهرة القديمة، ومن ثم فإنه سيعلم مَن دفنهم وأين؛ حتى يوفي بوعده إليها ويذهب معها إلى هناك.

«بعد مرور ثلاثة أشهر»

ذهبت إلى مكتبه حتى تشكره على كل ما فعله لها

آماليا: كل الكلمات التي كنت أحضرها هربت مني ولا أعرف ماذا عليّ الآن أن أقول حتى أصف لك إمتناني وشُكري لما صنعته من أجلي يا (أنس)، عمري بأكمله لن يكفي لأعبر عن شكري، لولاك ما كنت هنا الآن أقف صامدة برغم كل شيء منهك داخلي، كانت روحي مسلوبة مني ورُدِّت إليّ بفضلك بعد فضل الله، لا أحب عبارات الشكر لأنني أشعر أنها جافة تمًامًا وخالية من المشاعر ولأنني أعلم جيدًا أن مَن يفعل لنا معروفًا لا ينتظر في المقابل شيئًا لأنه يفعله بكل

قلبه مثل قلبك.. ليت قلوب البشر أجمعين في حنان قلبك يا (أنس).

أنس: إن كان على أحد منا الشكر فهو عليّ يا (آماليا)، واجبًا عليّ أن أشكرك على ما فعلتيه بقلبي، جعلتيه للتو ينبض.. ينبض بكِ، وعيناي التي تهذي باسمك لم يكن لها فائدة قبل أن تراكِ، إن مرورك أمام عينيّ والنظر إليكِ يمثل نظرية أخرى لم يكتشفها (آينشتاين) بعد، نظرية الوقوع من نظرة، إن مجرد التحديق في عينيكِ قادرًا على أن يُرشدني إلى الطريق الصحيح، طريق في كل الأحوال لا يؤدي إلا إليكِ فمنذ أحببتك وأنا أقف ساكنًا مكاني لا أريد أن أتحرك وإن فاتني بقية العالم لا يهم، لا أهمية لشيء بعدك.

ظننت أنني لن يمر عليّ هذا الشعور حتى رأيتك، توقف الزمان لوهلة وتوقفت حياتي وتوقف عقلي يتساءل أنتِ حقيقة أم ماذا، ظللت ليالٍ أفكر أين كُنتِ كل هذه المدة، لماذا لم ألتقِ بكِ منذ الطفولة لا لا تمنيت لو التقينا منذ نعومة أظافري وكبرنا سويًا وغمرنا الحب، إنني حقًا لا أعلم كيف مضت كل تلك الأعوام وكيف كنت أعيش دون عينيكِ، عينيكِ التي أستكين بِها وتحتويني داخلها، أتساءل كيف لعضو بحجم قبضة يدي أن يضمك أنتِ وتفاصيلك! آهٍ إنه قلبي الذي تنهار نبضاته أمام كلمة منك.

احمّرت وجنتيها خجلًا وتوردت عينيها وبدى على وجهها ابتسامة دافئة جدًا كانت تحلق حينها كفراشة

التفت أنس حوله ثم قال انتظريني هنا لدقيقتين فقط لن أتأخر.

جاء يحمل في يديه وردة وفي قلبه غصن من الحب، نظر إلى عينيها وتحدث: إنكِ أتيتِ كالنجمة التي كنت أجلس في شرفتي أنتظر ظهورها في السماء حين رأيتك حدث لي انقلابٌ أعتى من أي انقلاب، أنرتِ دنياي بعد أن كانت في غياهب الظلام، يرافقني وجدانك في سيري فأسير على نهجكِ وحين أنظر إليكِ أعود أسيرًا في حبك، أبلغ ذروتي من الحنان عندك، كل حواسي تتجرد من أي شيء عداكِ لتحملك أنتِ، تجعلين الهدوء يعم في كدرة وجه الأرض.

ثم اقترب ليعطيها الوردة وعاد ليقول سأرويها كل يوم من حبي لكِ وأقسم ألا أترك دمعة تذرف من عينيكِ، وأن أكون لكِ سعة المحيط الذي تهربين من ضيق اليابسة إليه فأحتويكِ بكل أمان، ستغارين حينما ترين أنني أقف مع أخرى؟ سيثير ذلك غضبك وتقسمين أن تتركيني، أنا أعلم هذه الأشياء كما أعلم كل الأشياء التي تفضلينها بينما أنا لا أفضل غيرك، فعليكِ أن تعلمي أن التفرد في أبهى صورة له في وجهك، فلا يجمعكِ مع الآخرين أي صفة، وإن نساء العالم بأكمله لن تجعل قلبي ينبض إلا لكِ، وأن كل البشر

لا تكفي أمام وجودك، لم أعد أكتفي بقول أنتِ جميلة؛ فإن الجمال يسكنك وتزيدينه بإطلالتك، أعلم أنني بشر وسأخطأ في حقك لكن بكِ أخطائي تُنقى، أعدك ألا أخيب أملك الذي وضعتيه بي، انظرِ إلى عينيّ.. أتقبلين أن نتقاسم القصائد سويًا، أنتِ تبتسمين وأنا أكتب لأجلك؟ وفي الخلفية صوت الفرعي وهو يقول «أنتِ يا اللي بنظرة صغيرة غيرتيلي حالي، وأنا يا اللي صرت أصلي أني يوم أقدر أحكيلك كل شي على بالي»

اتسعت ابتسامتها لتظهر كأنها قوس قزح ثم قالت: إنني واقعة في شِباك صوتك الحاني، وكلماتك الدافئة، ورقة النسيم التي تبدو على وجهك، أشعر أنني كلما أراك أرغب في حصارك، أن أخبئك داخلي حيث لا أحد إلا أنا وأنت، إنك بكل ما تحمله لي من ود تبعد عني حاويات آلامي، إن كنت جميلة فلأنك تراني، كأن قرنيتيك وجهتي الأولى، إنني في أحيان كثيرة استنشق رائحة الموت تفوح حولي لكن معك لا أفعل.

***

«أمضي يومي بشعور واحد «إنني أشتاق إليك» لا أنام وأفتقدك، ترتجف يداي وأنتظرك أسيروحدي وأريدك أبحث عنك وأغفل عن الجميع عداك»

(روح)

أخذها سليم وذهبوا إلي المشفىٰ وكان (شهاب) في حالة غير مطمئنة أبدًا بينما (روح) تناجيه «أخي أرجوك لا ترحل» حتى دخل غرفة العناية المركزة وظلت هي و(سليم) الذي أتى معها إلي المشفى وبمحض الصدفة أن (سليم) محامي لذلك سألها ماذا حدث له وقال لها: أعلم أن هذا الوقت ليس مناسبًا لتحكي لكن المشفى ستبلغ وسيأتي رجال الشرطة للتحقيق وجلست تحكي له ما حدث وأنه كان يحاول أن يدافع عن نفسه وعنها وعن شرفها الذي حاولوا أن ينتهكوه، خرج الطبيب من الغرفة فركضت تسأله علي حال (شهاب) لكنه أخبرها أن حالته ليست مستقرة وأنه سيحتاج أن يظل تحت رعايتهم وأنهم يفعلون كل ما بوسعهم لكن الطعنات التي أصابته كلها عميقة ليست مجرد طعنات سطحية وطلب منها أن تدعو الله له وظل (سليم) جالسًا معها إلى أن طلبت منه أن يذهب إلي منزلها ويخبروالدها بما

حدث وأن يأتي به إلى المشفى وهي تجلس أمام الغرفة تدعوا له وتتحدث إليه وتبكي من وراء الزجاج..

إننا حين نصبح علي وشك أن نفقد شخصاً يتلاعب بنا العقل بتساؤلات كثيرة ونجلس نسأل

لماذا يا الله قد أخذته مني؟ لماذا لم تتركه لي؟ أنا لم أكن أتمنى سواه، لماذا جعلتني وحيدة هكذا؟

وننسى ونغفل حينها تمامًا أن إرادة الله وقدرته فوق كل شيء وأننا لا يحق لنا أن نعترض علي قضائه بل نرضي والله عنده حسن المئاب.

صرخت (روح) وهي تتابع نبضه الذي علي وشك أن يتوقف بينما الطبيب والممرضين داخل الغرفة يحاولون أن ينقذوه لكنه قضاء الله.

مات (شهاب) ولم يكن يعلم بذلك أنه ينهي حياة (روح) معه، وأن أنفاسها ستظل علي قيد الحياة لكن هذا لا يعني أنها ستعيش، هي كانت تعيش فقط لأن (شهاب) معها والآن قد مات.

بكت (روح) كثيرًا حتي جاء والدها مع (سليم) وأخذها بين ذراعيه وأخذت تلقي باللوم علي نفسها وتقول لو لم أسروحدي لم يكن ليحدث كل هذا أنا السبب في هذا أنا السبب، أخذ والدها يهدئ من روعها ويقول أنه قضاء الله وهي ليس لها ذنب بما حدث، إنما الله يسبب الأسباب ولا

دخل لها في ذلك، حاول أن يبدو متماسكًا أمامها لأن موت (شهاب) قد كسر أضلعه، كان (شهاب) له مثل عصا موسى عليه السلام وكان كثيرًا يقول له أنت عصاي التي أتكئ عليها، لا شيء يضاهي حجم هذا الألم!

أن تفقد قطعة منك رأيتها تكبر أمام عينك وشهدت على كل لحظة معها، لا أذاقكم الله مرارة الفقد.

قاموا يحضرون الجنازة، وفي قلبها تقول أنها لن تترك حقه ولن ترتاح ويهدأ قلبها إلا عندما ترى من فعل هذا بشهاب مكبلاً بالأغلال في السجن وإلا تقتله بيديها، دُفِن (شهاب) ولم تقبل (روح) العزاء من أحد حتي تأخذ بثأره.. تماسكت و داخلها يتمزق من الحسرة هيهات لمن ظن أنهم سيمرون بفعلتهم دون أن يتكلم أحد، إنها ليست جريمة واحدة بل جريمتين.. الجريمة الأولي: محاولة التعدي عليها التي كانت ستتحول لاغتصاب لو لم يأتِ شهاب في الوقت المناسب، وطعنه الذي أدى إلى موته الجريمة الثانية، فلن ينجو منها أبدًا.

جلس (سليم) و(روح) يطلب منها أن تتذكر ملامحهم جيدًا هم لا يعرفون اسم أي شخص منهم لكن ملامحهم ستؤدي إلى معرفتهم ذهب معها إلي قسم الشرطة وقاموا بسماع أقوالها كما قدم (سليم) أوراقًا من المشفى تؤكد بأن (شهاب) توفى إثر تلك الطعنات كما أثبتوا تلك الجروح

التي كانت في جسده مما يبين أنها من أثر الجريمة، حكت له (روح) كل ما حدث ووصفت له ملامح كل شخص من الأربعة، لم تكن تتذكر كليا ملامحهم لكنها تتذكر جيداً من حاول أن يتعدى عليها وهو بنفسه الذي قتل (شهاب) وأخبرته أنها تستطيع أن تتعرف عليه جيداً إن رأته، كانت التحريات في النيابة والقضية جارية ولم يتم القبض عليهم حتى الآن، من الطبيعي أن يختفوا بعد فعلتهم هذه لكن سيخطئ أحد منهم فيعثرون عليهم، حيث أمر وكيل النيابة أن يتحروا عن الشارع الذي وقعت فيه الحادثة لأنه يعلم جيداً أن هذا الشارع كانوا يترددون فيه كثيرًا وسيقعون به.

ولأن عقولهم ستتغيب من فرط ما يتعاطوه، لم يستطع أن ينتظر(خالد) حتى الليل كي ينزل ليأخذ تلك العقاقير من صاحبها وكان سيجن دونها فنزل ظنًا منه لا أحد سيعثر عليه وقال أنه ربما لم يبلغوا الشرطة من الأساس أو بالأحرى هو لم يكن يظن أن أحدًا يستطيع القبض عليه فإنها ليست المرة الأولى، هكذا العقل البشري العقيم الذي يهيأ لنا أشياء أقل ما يقال عنها أنها تتسم بالغباء.

عندما رآهُ الشرطي تعرف على ملامحه وقبض عليه وأخذه إلى قسم الشرطة وأتصل وكيل النيابة بـ(روح) لتأتي لتتأكد هو أم أنه مجرد مشتبه به، أتت روح ولم تشعر بحالها إلا وهي تصرخ في وجهه وتقول أنت أيها الدنيء لن

أتركك أبدًا والله لن أتركك ستدفع ثمن ما فعلته أيها الوغد آهٍ لو أن أقتلك بيدي وأقطع جسدك إلى أشلاء صغيرة ألقيها لكلاب الشوارع تأكلها إن لم يكن لحمك مقزز بالنسبة لهم.

حاول وكيل النيابة أن يهدئها وطلب منها أن تخرج حتى يتم التحقيق معه.

خرجت (روح) وهي تفوض أمرها إلى الله وتعلم جيدًا أنه سيرد لها حق أخيها وحقها وتدعو الله أن يلهمها الصبر والسلوان على ما هي فيه وأن يعين أبيها ويقر قلبه وعينه ولا ترى به أي مكروه.

***

إن الوهن الذي يطرق قلوبنا عند موت أحد من الأهل أو الأصدقاء كل العبارات لا تكفي لوصفه كأن أحدًا ينزع قلبك من داخلك ويطلب منك أن تعيش وتتعايش دونه وكأن شيئًا لم يكن، لا أحد يتحمل مأساة موت شخصٍ عزيز له صدقني إنه شعور يكاد أن يحرق صدرك لو جربت مرة فعل الكي؟ لا بالمكواة بل أن يُكوى داخلك في كل مرة تفقد فيها شخصًا.. لا كتب الله عليكم هذا الشعور ولا أذاقكم بمَن تحبون سوءً.

***

«ليس بإمكاني أن أتوقف عن الهرب من الجميع لم أعثر على شخص يجعلني أهرب تجاهه»

(زين)

حبيبتي (نور) كنت أستطيع ببراعة أن أخدع الجميع أنني بخير ثم أختبئ خلفك وأبكي؛ لأنكِ وحدك تفهميني، وحدك تشعرين بي وبما يدور داخلي، وحدك مَن يرى هذياني وضعفي فيفرش لي صدره أريكة لأستكين به من عنائي ومشقتي، حين تغيبين أفقد ثقتي وشغفي وتحتلني الوساوس، وأشعر أن جسدي عاريًا-تعتريه مخاوفي- أزحف ببطء كأنني أحمل هزائمي على كتفي فلا أستطيع أن أقف من ثقلها، إنكِ يا عزيزتي ما كنت عابرة يومًا، إنني مقيد بك، وإنك الفكرة الوحيدة التي تمسكت بها لأنجو من مهالك الحياة

قد غبت وطال بُعدك، وجلست: أنا وقلمي نكتب لك، وأنا وقلبي ننتظرك، بكيت لأنني لا أريد أن أمضي دونك، بكيت خوفًا ألا تأتي مجددًا، بكيت لأنني شعرت أنك تمحيني من حياتك للأبد، أستيقظ كل يوم على أمل عودتك، لكنكِ لا تأتي فأصاب بخيبة أمل مرات ومرات، إنني عالق بين

الأماكن التي مشيناها سويًا، والليالي التي قضيناها معًا، وكل الأشياء التي جمعتنا، تأتي الرياح تحمل ما بنيناه، ثم تذكرني أنكِ رحلتِ، فيُهدم داخلي شيئًا لا أعلمه، ربُما قلبي..

قلبي الذي وددت لو أن أنتشله، وألقي به بعيدًا بعيدًا حتى يكف عن خلق أعذار لك، حاولت كثيرًا أن أمضي وأكمل طريقي دونك، ظننت أنني سأفعل ذلك، وتظاهرت بالقوة والصمود إلى أن تمر ذكراكِ أمامي فأعود لانهياري من جديد، عنّفت نفسي مرارًا حتى تكف عن انتظاركِ، حاولت أن أشغل نفسي عنكِ لكن نفسي تأبىٰ أن تغفل حتى عن طيفك، كأنني لم أكن لكِ شيئًا ذات يوم، بينما كنت أراكِ جميع أشيائي، ناديتك دَارِي لأنني كنت أخشىٰ وحشية العالم وغربة الأوطان، فكنت أسكن جوارك وأحتمي بك، وأنتِ معي كنت أنسىٰ الأشخاص، الشوارع، العالم، ونفسي، الآن يحيطني العالم بأشخاصه وأماكنه ولا أنساكِ، والشوارع أسير فيها لا أحمل في قلبي سواكِ، لقد فشلت كل محاولاتي في إيجادك!

«أجلسُ أمام النّافذة، أخيّط شارعاً بشارعٍ وأقول: متى أصِلُكِ»
عدنان الصائغ.

تيقنت أنني لن أستطيع أن أعثرعليكِ ثانية، لو أحبتني ما فعلتِ ذلك.

أكان كل هذا كذبة؟

كيف لكِ يا نور كيف أن تفعلي بي هكذا؟

كيف أن تخذلي قلبي الذي رآكِ سكنًا له؟

أتذكر كلماتك، كل الكلمات تنهش بعقلي حتى يفر النوم هاربًا من تساؤلاتي، اليوم فقط أشعربفاروق جويدة حين قال «كان في عينيكِ شيءٌ لا يخون

لستُ أدري كيف خان»

لست أدري حقًا كيف استطاع الفراق أن يهزمنا..

قد مر خمسة أشهر منذ أن وصل (زين) إلى القاهرة، يبحث عنها، في كل بيت، في كل شارع، في كل مكان ولا يجدها!

حي الزمالك، القاهرة:

بينما كنت أسير في إحدى الطرقات أحمل سيجارة مشتعلة في يدي وندبة مشتعلة في صدري رأيت وجهها، لم يكن ككل المرات التي كنت اتخيلها في وجوه الجميع بل إنها (نور) أعلم ذلك جيدًا أشعر برائحتها..

مشيت إليها راودني حينها قول هدير مدحت «في الطريق إليك يسبقني ظلي وقلبي والنجمات، جميعنا على موعدٍ مع راحتنا»

كانت ترتدي فستانًا مائلًا للون الأصفر تزهره بعض الورود الصغيرة المرسومة على جسد الوردة الكبيرة، وكان شعرها يرفرف فوق ظهرها، بدت كغيمة جميلة.

بينما أنا ذاهب إليها نزل وراءها شاب اقترب منها وضع يدٍ على كتفها والأخرى عانق بها يدها، وكنت أقف حينها غير مدركٍ لما يحدث، تمنيت ألف مرة ألا تكون هي وبكامل الأسىٰ على نفسي رمقتها بنظرة أخيرة وهي بين ذراعيّ رجل غيري ولم أستطع أن أصمت وأرحل، صرخت بها وضربته حتى نزف فمه إثر اللكمات، وجهت نظري إليها بألمٍ ثم قلت هذا الذي تركتيني من أجله؟ أنا الذي تركت بيتي وأهلي ومدينتي وجئت أبحث عنكِ! لخمسة أشهر وأنا أقاوم وحدي وأنهار في اليوم مئة مرة، أتعثر بين هنا وهناك وأمضي كل الطرق على أمل أن أجدك، الآن أراكِ بين أحضانه!

تبًا لي ولغبائي ولقلبي الذي أحبك أكثر من أي شيء حتى نفسه.

صمتت (نور) وكان صمتها يقتله، تمنى لو أنها توبخه على ظنه، وتحكي له ما حدث، تقول له أي عذر سيقبله ويعودا معًا، لكنه أدرك جيدًا أن ما بينها قد انتهى منذ زمن وهو فقط من كان يتمسك بالحبال الذائبة، يقال أنه في الفراق يبكي طرف أكثر من الآخر وبمعنى آخر قاله عمرو دياب «يا عيني على اللي كان بيحب التاني أكتر»

الأصعب من الفراق أنه فراق بلا وداع، كان عليك أن تودعيني وداعًا يطفئ هذه النيران التي تفوح من صدري.

أنا لم أعد أريدك؛ أنتِ مَن جعل للقسوة مكانًا بيننا، وتركتني بين غياهب الحزن يبعثرني تبعثرًا، لكن جزء مني ما زال يحتفظ بك، كيف ينسى المرء شخصًا كان له حياة؟

«كنت سأحاربُ بكَ الأهل والقبيلة أما الآن لو جئتني ببلدانِ العالم لا أريدك»
محمود درويش.

عاد (زين) إلى بيته يحمل خيبة أمل وجرحًا يُصعب عليه مداويته أو حتى أن يضمده.

لقلبك السلام والسكينة يا زين..

***

يقول فؤاد حداد «كل شيء إلا الخيانة يجوز» فتخيل كم الألم حينما تكون الخيانة من أقرب أشخاصك بل من شخصك الوحيد، كنت أقول أن الأغبياء هم من يسمحون أن يُخانوا إنهم يتنازلون عن الكثير من حقوقهم حتى ينتهي الأمر بالخيانة مرة بعد مرة وتصبح عادة، لكن عندما نضجت أدركت أن هذا الفعل يسري في عروق البعض كما يسري

الدم والماء فيخونوا بأبشع الطرق، صديقة تخون صديقتها المقربة زوج يخون زوجته، وشريك حياة يخون حبيبته الذي أقسم على حبه لها، إن خانت المرأة فعلينا بقتلها، أما إن خان الرجل فعلى المرأة أن تغفر له من أجل الأولاد ولأن الجميع يخطأ، لا تكترثِ لهذه الكلمات عزيزتي لا خطأ هنا هو فعل هذا بإرادته فليتحمل عواقب فعلته.

***

«كلي مشوش منهك مبتذل جدًا لا أعلم حقًا ماذا عليّ أن أفعل وداخلي متعب إلى هذا الحد»

(مريم)

كنت أقيم الليل أصلي وإذا بهم يلتفون حولي يحاولون أن يمسكوا برقبتي ويخنقوني يصرخون كثيرا وأصواتهم مفزعة، لم أعد أتحمل أكثر من ذلك، حتى الصلاة سيمنعونني عنها!

لن أسكت بعد ذلك والله لن أسكت

ذهبت إلى أمي أخبرها بكل ما حدث طيلة الثلاثة أشهر الماضية منذ أن أخبرتهم أول مرة وهم في تزايد مستمر ولا أعلم كيف صمتُ هذه المدة، لم يكن يعرف أي شخص سوى (صفا).

جلست أمي مذهولة مما أحكيه أمسكت بيدي واحتضنتني ثم وضعت يديها على رأسي وأخذت تقرأ لي آيات الله ولا أعلم كيف غفوت حينها، كانت المرة الأولى التي أغفو بها دون أن أجدهم، في الصباح جاء أبي وأخبرني أنه لابد من زيارة طبيب نفسي، لم يكن هناك حل سوى أن أذهب إلى طبيب نفسي وفي البداية لم أكن أرحب بتلك الفكرة ولا

أريدها لكن ليس أمامي خيارًا آخر، ذهبت إليه وحكيت له ما حدث وقام بتشخيصي بهلاوس سمعية وبصرية وأخبرني أنها من ألم موت جدي.

طلب مني أن أعود إلى دراستي، ولا أنعزل عن العالم، أمارس الرياضة، وأتناول الطعام بشكل جيد، أحافظ على تناول الدواء بانتظام، وأن أخرج في نزهة كل أسبوع لأن العامل النفسي مهم أكثر من الدواء، وكان بهذا الشكل يضغطني كثيرًا لأنني كنت في الفترة الأخيرة أبتعد عن الجميع ولا أخرج من غرفتي الآن يطلب مني أن أمارس الحياة الطبيعية!

بعد أربعة أشهر من الهلاوس ونوبات الهلع والانتظار والمشاعر التي ما كانت تشقي أحدًا غيري وكيف أن أمحو كل ذلك من رأسي، رأسي الذي يحتله الضجيج ولا يرحل منه، بعد عنائي مع كل التقلبات المزاجية ووزني الزائد وكل الحبوب التي في وجهي وآثار المهدئ الذي يطفئ قدرتي على العيش، ويخمد جسدي فأنام أكثر من نصف اليوم كيف أن أعود إلى العيش

لن أنسىٰ تلك الليلة حينما استيقظت على أصواتهم ونظرت إلى المرآة فوجدتهم يخرجون منها يقولون في صوت واحد «لن نتركك»

حاولت أن أخرج من الغرفة وقفوا أمامي يمنعونني من الخروج وناديت أبي وأنا أصرخ أن ينقذني منهم، وجاء يحملني بين ذراعيه ويقرأ لي قرآنًا وتبكي أمي جواري وتدعو الله أن يزيل ما بي، وهم ما زالوا حولي وجلست أهذي تلك الليلة ولا أقول سوى «لا تتركني يا أبي سيقتلونني أرجوك لا تتركني وحدي»

كان انهيارًا عصبيًا شديدًا حينها استمر لساعات دون أن يقل حتى اتصلت أمي بالطبيب وأخبرها أن تعطيني قرصين من المهدئ هذا اليوم وأنني بحاجة إلى النوم والراحة لأنني كنت أعاني لساعات وأجلس ليال في غرفتي إلى أن يحل النوم بعد محاولات كثيرة في خلق فرصة دون أن يظهروا.

لا أحد يعي كم الاضطرابات التي تمكنت من جسدي حتى بات جسدًا خاويًا بلا روح، شخص مثلي دائم الخوف لا يريد سوى أن تربت بيديك على كتفه لتصبح أيامه على ما يرام، شخص مثلي عاش عمرًا مليئًا بالقلق أقصىٰ ما يريده أن يطمئن، أن يُمنَح السلام ويزول قلقه وخوفه لا أكثر من ذلك.

إلهي انقذني من هذا الخوف الذي يلتصق بجسدي أتوسل إليك أن تمنحني القوة وأن تغرس في قلبي السلام.

***

«لم أحاول الوقوع بكِ روحي ذهبت دون عمد إليكِ»

(سليم)

نزلت كي أذهب إلى محامٍ من المحامين الكبار لكي أتدرب عنده ورغم أنني لم أكن أحتاج إلى ذلك لكن كي أكتسب خبرة ولأنني لن أستطع أن يكون لدي مكتب خاص إلا بعد تلك الخطوة.

بدأت العمل وكنت سعيدًا به، ولا أعلم حقًا كيف كنت أرى نفسي في أي مهنة أخرى، وإنها إرادة الله هو دائمًا يقدر لنا الخير حتى إن لم نظن ذلك.

كان الأستاذ (أحمد حسين) فخورًا بمجهودي في حل القضايا مؤمنًا بي وبأنني سأصبح أفضل من أي محامٍ آخر وسيعلق اسمي في أذهان الجميع.

كنت عائدًا من المنزل ولسوء الحظ قد عطلت السيارة التي كنت أركبها فنزلت وأكملت الطريق سيرًا على قدماي، ولم أصدق عيناي لما أراه، فتاة في مقتبل عمرها تصرخ وتبكي تستغيث ولا أحد يجيبها! ذهبت إليها فإذا بشخص ما ملقي أرضًا تسيل منه الدماء نظرت جيدًا إلى ملامحه ثم أدركت أنه (شهاب)! تفوهت قائلا: هذا شهاب كيف حدث

ذلك؟ لم تكن هي في حالة أن تسألني من أنا وكيف أعرفه ولا تسأل عن أي شيء، أخذته معها إلى المشفى.

(شهاب) صديقي منذ الصغر لكن عندما انتقلت إلى آخر الإسكندرية منذ أن مات والدي لم أستطع أن أتواصل معه وانقطعت عنه أخباري، لكنني لم أنساه وما كنت أتخيل أن اليوم الذي نلتقي فيه يكون بهذا الحال.

وبعد أن وصلنا دخل (شهاب) إلى العناية وطلبت مني أن أذهب إلى منزلها حتى أخبر والدها بما حدث، وعندما ذهبت إليه وأخبرته بما حدث، وقلت له إنني سليم رفيق شهاب وكنا صغارًا في نفس المدرسة وبنفس الشارع تذكرني وأخبرني أنه كما كان هو والدي رفقاء كان شهاب يتحدث معه عني وعن أنه لا يحب أحدًا كما يحبني، مرت أمامي ذكرياتنا سويًا كل ركن في البيت كما هو لم يتغير أي شيء، لون الحائط والملصقات التي وضعتها عليه أنا وشهاب، أتذكر ذلك اليوم جيدًا والجمل التي كتبناها على الجدران في غرفته، هنا قضينا أسعد اللحظات، كنا رفاقًا وغنينا معًا.

(روح) التي أحببتها وكنت أنتظر كل إجازة صيفية حتى تأتي إلى مصر وأراها، أحببتها ولم أجرؤ حتى على البوح لشهاب بذلك، كنت أراها حلمًا صعب الوصول إليه، ورغم علمي أنها ليست مثل والدتها لكن استقرارها في فرنسا كان يجعلني أرى أنه من المستحيل أن يجمعنا شيء، ولأنها حتى

لا تعرف بحبي كي تبادلني إياه.

الآن وبعد أن أخذت قضية (شهاب) وما لا يعرفه أحد أن (خالد) يكون ابن الأستاذ (أحمد حسين) وكاد أن يطردني من مكتبه كيف أن أقبل بقضية أقف أمام المحكمة أدين ابنه، لولا أنني خاطبت ضميره المهني وجلست أحدثه أن المذنب لا بد أن يعاقب وأن يأخذ القانون مجراه وأنه أخطأ حينما ترك شأن تربيته لوالدته بعدما انفصلا حتى وافق أن أكون مسؤولًا عن القضية وأن (خالد) يستحق العقاب الذي سيناله لعل ذلك يجعله يفيق من غفلته تلك وعلى أمل أن يقضي سنواته في السجن ويخرج إنسانًا آخر، يبدأ من جديد في درب غير الذي سلكه وفي مكان غير الذي عاش فيه، أن يكمل دراسته حتى يتخرج فيكون له مكانة مرموقة بين الناس ويكون مثالًا لشاب قد اهتدى وعرف طريق العودة إلى الله.

الآن أنا على وشك أن أكسب القضية إنها ليست ثأرًا بالنسبة لـ(روح) فقط هي بمثابة إعادة روحٍ لنا جميعًا لم تكن مجرد قضية أبدًا، إن المجني عليه أنا وليس (شهاب) فقط.

كما أيضًا علمت أن (روح) ستستقر في مصر ولن تعود إلى فرنسا، فسأنتظر أن تنجح روح وتنهي بذلك سنواتها في المرحلة الثانوية لن يكون هناك ما يمنع من البوح فسأخبرها

بما أكنه داخلي حتى أعلم مشاعرها ثم أذهب وأطلب من عمي (حسن) أن أتقدم لخطبتها، على أمل أن تمضي الأمور هذه المرة كما أتمنى وأن يتحقق آمالي في كل الذي أسعى إليه.

أن يرافقنا الخير حيث وطأت أقدامنا، آمين.

***

(الفصل الأخير)
(لهاية الحكايات)

«أن أحظى بك فنظل معًا هكذا ببساطة بلا عقد حتى يمل الوقت أو ينتهي العمر»

(آماليا)

في المساء ارتديت فستانًا كان جميلًا وراقني مظهره، شعرت بدفء عندما أرتديته ولمدة طويلة لم يأتيني هذا الشعور، كان اليوم يمر بخفة ولطف منذ بدايته وقد رأيت أبي وأمي في منامي يبتسما لي، شعرت أن قلبي يخلق من جديد.

خرجت إلى شرفة الغرفة وقفت أتأمل شكل السماء والشوارع والبيوت، كنت أفتقد كل هذا.

جاء أنس يغني «آه لو قابلتك من زمان كانت حياتي اتغيرت» ابتسم وقال: هذه الفراشات التي على فستانك أحسدها وأتعجب كيف لها أن تستقر حول الفراشة الرقيقة -أنتِ-

كان صوته دافئًا راودني حينها ما قاله محمد الخطيب «صوتك آهٍ ما أحنه أود لو أفرش عليه وأنام» في رواية أخرى كما قال الأبنودي «حِسه شايل ورد زي الغصون» وأقول أنا «الدنيا يومين وأنا دنيته في حِسه»

ظل ينظر إليّ ويتأمل ملامحي حتى سألته ألم تمل من التحديق بعينيّ كل هذه المدة؟

أنس: شيء من الفن داخل عينيكِ كأنها لوحة مرسومة أخشى لمسك كي لا أخدش كل هذه الرقة.

آماليا: كنت فقيرة.. فقيرة حتى التقينا فصرت أكثر الناس ثراءً لأنني حظيت بك.

أنس: أتعلمين شيئًا؟ كنت أتعجب من أحاديث المحبين المليئة بالغزل وأقول لنفسي أنا لن أفعل ذلك أبدًا حتى أحببتك وصارت كل كلماتي قصائد يملؤها عطرك.

عزيزتي التي ليس بقلبي عزيزة سواها إنني لا أتحمل أن تمر الدقائق دون رؤيتك، يصيبني الحزن من كل الجوانب إن مضت الثوان دون عينيكِ، حبيبتي إنها المرة الأولى التي أقولها بها دون خوف، دون تردد من أي شيء، أعلم أنني لم أبُح لكِ سوى الآن لكن قلبي فعل في كثير من المرات، قلبي الذي هرب مني وسكن في جوفك أينما تكونين يكن معك وبكل حال يجدك جميلة، أيتها الفراشة أتقلبين أن ينتهي العمر برفقتك، بين يديكِ الدافئة، أتقبلين أن تكوني بطلة بين جدران بيت لا يسكنه سوانا وتكونين الموطن الدائم؟ تقبلين بي حبيبًا ورفيقًا لأيامك؟

بدى على وجه (آماليا) الخجل واتسعت ابتسامتها مرة أخرى كأنها قوس قزح ثم قالت: لا أعلم كيف كنت

سأمضي أيامي دون أُنسك يا (أنس) أنت جميل كتوق رطب إلى السماء، دافئ كرقة النسيم الناعمة، وأنا

-بكل ما امتلكه من قوة- دونك أصير هشة بلا أي شيء، جئت إليك مثقلة بالندوب والخوف واستطعت ببراعة أن تجعل كل الليالي خفيفة على قلبي، شعرت معك أنني أمتلك العالم بين كفيّ، كلما دب الحزن في صدري أتذكرك فيهدأ كل شيء من حولي؛ لأنك هنا.

حضورك كاللحن يطربني، حديثك يلمس قلبي يقبّله بحنانٍ كأنني كنت بلا روح ووجدت روحي عندما أحببتك، إنني اتوهج باقترابك!

آهٍ انظر إلى عينيّ إنها لا تهوى إلا النظر إليك، أقبل بك وأريد أن أقضي معك عمرًا فوق عمري.

لتدخل والدة (أنس) الذي حكى لها كل شيء عن (آماليا)، ودخل كل مَن في المصحة برفقة المأذون احتضنت والدة أنس (آماليا) فبكت وقالت لها إنني شعرت بحنان والدتي فيكِ، أمسك (أنس) بيديها وقال لها أردت أن أتوج زواجنا في أول مكان التقينا به لتشهد علينا كل ذكرى هنا أننا اجتمعنا الآن في حلال الله، ثم كتب المأذون عقد قرآنهما وامتلأت المصحة بالفرحة، ضمها (أنس) إلى ضلوعه وقال: الآن فقط أشعر كيف يحيا القلب، قبلكِ ما كانت أنفاسي سوى تنهيدات بلا فائدة، الآن أنا أتنفسك.

كان عناقًا طويلًا شعر كل منهما أن روحه صارت ممزوجة في جسد الآخر.

وفي الخلفية صوت أم كلثوم وهي تغرد «خليني جنبك خليني في حضن قلبك خليني، وسيبني أحلم سيبني، ياريت زماني ياريت زماني ياريت زماني ميصحنيش»

بعد أن بارك الجميع لهما خرج (أنس) وهو يعانق يد (آماليا) حتى وصلا إلى المنزل، تحدث أنس قائلًا سنملؤه بالسلام والحب وبكِ وسيتسع كل ركن به أن يحتويكِ كما يتسع قلبي ليضمك.

آماليا: سأخبرك شيئًا، أنا كلما أراك أشعر أنني أحلق بلا جناحين، أي مكان يجمعنا سويًا فإنه جنة بالنسبة لي وأنت يا (أنس) أنت دعوة أمي لي حينما قالت رافقكِ الخير، أنت معي هذا يُكفي قلبي اليتيم.

«الناس تَنْفَضّ، أنت بقلبي وغيرك ولا حد»

فقال (أنس):

أنا وأنتِ

لقد اجتمعنا -أخيرًا- الآن أنا أكتب وكلي يقين أنني أخذت كل ما يكفيني من الحياة فلا يهم أي شيء آخر لطالما نحن معًا.

صغيرتي التي هي جزء مني بل كلي، أعدك أن أحبك حتى تنتهي حروفي أو أنتهي أنا، وأتمنى من الله أن يحفظنا سويًا أبد الدهر..

بعد مرور سنة من زواجهما أنجبت (آماليا) طفلين «توأم» وكانا رمز المودة والرحمة بينهما ومرت الحياة بلطف داخل بيت يعمّه السلام الآن فقط ندرك تمامًا شعور أن نجد البيت.

***

«عوض الله آتٍ لا محالة، اصبروانتظروارض بما يكتبه الله لك فهو الخير دائمًا»

(روح)

«أنت الآن ستحاسب علىٰ تلك الأفعال تعاطي المخدرات، محاولة اغتصاب وقتل عمدًا، لن تنجوا أبداً أيها الوغد»

قالها له وكيل النيابة وحينها فقط شعرت (روح) بأنها ترد حق أخيها ولن تهدأ حتى تراه معدومًا، كان (سليم) معها في كل خطوة، كان يطمئنها بأن أقل عقوبة يأخذها خالد هي الإعدام وأنها ليست أول جريمة ضده، بل إن له سوابق في السجن لكن كان يستطيع المحامي تخفيف العقوبة ببعض من ألاعيبه ولكن أعدكِ يا (روح) ألا يحدث هذا هذه المرة وسنأخذ بثأرنا.

اليوم موعد القضية في المحكمة، لم تكن (روح) تستطيع انتظار تلك اللحظة، ذهبت إلى (سليم) الذي وجدته لم ينم هو الآخر ويجلس متحسبًا لأي مما يفعله المحامي، أخذ سليم روح وذهبا إلى المحكمة، كانت قضيته هي أول جلسة، من العدل ومن حسن الحظ أنه لم يأتِ

محامٌ لخالد من الأساس، من يدافع عن قضية خسارتها فادحة مثل هذه! ترافع (سليم) وكانت (روح) تدمع كلما يمر أمامها شريط لكل ما حدث هذا اليوم.

قد حان سماع حكم القاضي «بعد الاطلاع على كافة الأدلة والأوراق المقدمة قررنا نحن على المتهم خالد أحمد حسين بالإعدام شنقًا ورفعت الجلسة»

حينها بكت (روح) دموع فرحة أنها أخذت حق أخيها وبكت اشتياقًا له، عادت إلي أبيها وهي تزف له خبر إعدام (خالد) بينما أبيها كان يجلس فرحًا لأن من فعل هذا بابنه قد عوقب لكن الحزن على موته لم يفارقه لحظة.

بعد مرور أسبوع

«روح ، روح استيقظي الآن سريعًا»

روح: ماذا حدث يا أبي أنت بخير؟

احتضنها وعينيه تلمعان قائلا أنتِ أيتها الفيلسوفة الصغيرة أخبرني عمكِ منذ قليل أن نتيجتك قد ظهرت، تنظر إليه في خوف ماذا فعلت يا أبي ماذا؟ لا تقلقي أنتِ ضمن العشرة الأوائل على الجمهورية، حققت حلمكِ وحلم أخوكِ من قبلك، إنه الآن فرحته بكِ لا توصف، آهٍ يا (شهاب) لو أنك هنا الآن تحتضني وأري في عينيك أنك تفتخر بي لطالما كنت معي تشهد علي كل تعبي طيلة العام لطالما كنا روحًا واحدة كم أتمنى لو أن تعود لثوانٍ حتى ترتوي روحي

لن أقول إلا ما يرضي الله أنت معي دائماً ستظل حتى إن لم تعد هنا، وسنحقق باقي الحلم وسأظل (روح) الفيلسوفة التي تحبها.

حينها علمت والدتها بما حدث لشهاب لم تنتظر وحجزت أول طائرة ونزلت إلى مصر، رغم أن (شهاب) ليس ابنها بل إنه ابن حسن من زوجته الأولى التي توفت أثناء ولادته، وتولى والده تربيته حتى تزوج من (بيلا) والدة روح التي اعتنت به كأنه ابنها البكري، للتو شعرت والدتها أن (روح) تحتاج إليها ولم تكن روح تصدق أنها ستأتي حتى رأتها تقف أمامها تواسيها وتحتضنها وتقول أنها محظوظة لأن لديها إبنة قوية مثلها وأنها سعيدة أنها حققت حلمها وحلم شهاب واعتذرت لها أنها لم تكن تتفهمها وهي في الخارج وانشغلت عنها مع صديقاتها لم تكن لتفكر أنها تحتاجها ظنًا منها أنها حين تجمع لها المال وتعطيها الحرية أنها بذلك تسعدها، القدر الذي يأخذ منا أقرب الأشخاص لنا هو نفسه الذي يمنحنا آخرين، ولا أقول أن أحد يستطيع أن يعوض غياب شخص كان يغنيك عن العالم، لكن الله دائماً يؤتينا خيراً مما أُخذَ منا.

علينا فقط أن نؤمن بالله وبما يختاره لنا ونمضي واثقين به مستودعين أنفسنا وما بها.

التحقت (روح) بكلية السياسة والعلوم الاقتصادية وقد تبقى خطوات قليلة على حلمها أن تكون وزيرة للبيئة فتاة مثلها تحب الحياة من الطبيعي أن يكون حلمها أن تحيا وسط بيئة تروقها؛ تأمل أن تصنع بيئة ملائمة للعيش وأن تغير حال البلاد إلى ما هو أفضل مما هي عليه، رغم أن ذلك ليس سهلًا ولا كل مَن يتخرج من كلية السياسة والعلوم الاقتصادية يتعين وزيرًا، هي تعلم جيدًا أن أمامها الكثير من العقبات وعليها مواجهة ذلك، أبدت (روح) تفوقها خلال السنة الأولى لها واجتازتها بامتياز.

بعد مرور أربع سنين وقد بذلت (روح) كل ما في وسعها خلالهم، سهرت ليال وبكت ليال من التعب، كانت حتى في الإجازات تقرأ وتبحث وتستنتج وتنمي كل أفكارها وكل الذي تدرسه.

اليوم موعد تخرجها وكما نعلم أن «من جَد وجد» حصلت روح على تقدير عام امتياز مع مرتبة الشرف وكانت الفرحة لا تسعها حين ذلك احتضنتها أمها وأبيها والبهجة والفخر يغمرانهما؛ هذا حصاد كل هذه السنين.

إن الأهل هم الداعم الأول والاساس، إما يدعموك فيغنوك بذلك عن العالم، وإما لا فتعيش وتدرك أنك لم تعش وأن لا شيء يساوي أن تكون الأهل سندًا لك يقودوك إلى النجاح لا يحطموك.

بعد أن عادت (روح) إلى بيتها شكرت أبيها وأمها أنهما كانوا مؤمنين بها واثقين من أنها ستحقق ما تسعى إليه، كلما كانت تأتيها لحظات من اليأس كانوا جانبها يساندوها بأن الله معنا وعلينا أن نثق به وبقدره الذي يجلب لنا الخير دائمًا.

بعد أن تخرجت (روح) تحدث إليها وكيل الكلية أن تأتي إلى مكتبه فظنت أنه بذلك سيخبرها أنه يريدها أن تكون معيدة في الكلية لكنه أخبرها أنه تم اختيارها لتكون وزيرة للبيئة! بكت (روح) حينها وتذكرت كم عانت حتى تصل إلى هنا، بكت لأنها كانت تريد أن يكون (شهاب) هنا ليراها وهي تحقق حلمه وحلمها.

يمر على المرء شعوران يكاد حينهما أن ينمو له جناحان: حينما يحب وحينما يحقق حلمه.

***

«من يداوي المُحب إذا أشتاق، مَن يُعيد لنا الأحبة، ومَن يرد إليّ نفسي التي غابت»

(زين)

فرشت هزائمي حول السرير، وجلست أحمل خيبات أملي وخسائري الفادحة، كل الأشياء يجمعها الألم وكأنه الضريبة عن كل ما في الحياة، الحب مؤلم، الفراق مؤلم، حتى السعادة لا تأتي إلا بعد ألم!

كلما أستيقظ من نومي أشعر بألم يسير في قدماي كأنها لم تعد تقوى على حملي أنا وخيباتي!

يداي مجروحتان تنزف تضامنًا مع قلبي..

إنني اتألم كل حين ويبدو أن الألم لا يجد مسكنًا إلا في جسدي يلاحقني أينما أكون، آهٍ كم أود لو أن أصير بلا شعور.

متى أتوقف عن هذه المعاناة؟ ماذا عليّ أن أخسر مجددًا حتى أعتاد على الشعور بالألم فيصبح شيئًا عاديًا ضمن أشيائي الروتينية ولا أكترث له!

أحمل حزني ويأسي ونفور الجميع مني وخيانتها لي، ما الذي يجعلني أعيش بعد الآن وأي معنى لحياتي؟

كيف يعيش المرء منا بعد خذلانه من الجميع؟

***

بعد مرور أربعة أشهر من العزلة داخل بيته كتب زين: إنها آخر سيجارة في علبة سجائري مع المزيد من جرعة النيكوتين، لن يهم إن مت الآن ولن يكترث لي أحد، إنني مهمش في هذه التي تسمونها حياة -ما هي إلا جحيم على الأرض- حاولت أن أصنع صلحًا مع العالم نتفاوض قليلًا لكن باءت محاولاتي بالهزيمة والسب، ولم أعد أتحمل عدم تقبلهم لي، أنا لم يتبقَ مني سوى فتات كما قال إسلام خلف « دور معايا عليا هتلاقي، اللي أنت شايفه مش أنا ده الباقي»

تأذيت وتحولت روحي إلى رماد من فرط النيران التي تشتعل داخلي يوميًا، خانتني نفسي وذرف دمعي، حتى أصبح كل شريان بها أحمرَ من فرط البكاء، سأدمر نفسي بجرعة زائدة من المهدئ ولأن لا أحد هنا لـ ينقذني كما لم يحدث وأنا على قيد الحياة..

فسامحني يا الله أنا لا أفعل ذلك لقلة إيماني بك لكنهم يؤذوني ولم أعد أتحمل، لم أرَ رحمة منهم وأنت وحدك رحيمٌ بي، سامحني يا الله أرجوك وسخر لي من يدعو لي بعد الموت، لو أن أحد أبتسم في وجهي مرة لم أكن أفعل ذلك الآن.

أمي هل سيُكسر قلبك من بعدي؟

قضيت عمري لم تنتبهي أن قلبي تفتت، وكنتِ تظنين أنني أعيش ربيع أيامي، لا أعلم حقًا كيف وضع الله كل هذه القسوة في قلبك! أنا لم أتذوق حنان الأم ولو لمرة، آهٍ.. لو تعلمين أنني تمنيت لو لم أخلق من الأساس..

أبي كنت أتمنى لو أن تشعر بمعاناتي أو على الأقل تسألني لو مرة عن أحوالي، كيف تسير أيامي، وددت لو أشعر أنك فقط تهتم لأمري، لو نظرت لوهلة إلى عينيّ لوجدت أنني هالك وعلى وشك الموت قهرًا.

عزيزتي (نور) لقد نهش الحزن روحي، أنتِ ما عدتِ هنا لانتشالي منه، ولم تبالِ لذبولي ووجهي الشاحب، ونوبات اكتئابي المتكررة التي ازدادت وجف غديري منذ رحيلك، شعرت بقسوة الليل تعتريني، الوحدة تحاوطني، لا يوجد أحد حتى أبوح له، شيء داخلي يلتهمني، لكني لا أكترث للألم، أعتدت الأمر، لكني لم أعتد غيابك، إنه قلبي -عِلّتي- حاولت نزعك من داخله وباءت محاولاتي بالفشل، لو أستطيع بتره لفعلت لكنه قلبي، حقيقة رحيلك تقتلني.

إنها الرغبة في ترك كل شيء والصعود إلى السماء وفي غضون دقائق أنتهي مني.

المزيد من السوداوية في هذا العالم أنا سئمت العيش، لا أريد أن يلقي أحد باللوم عليّ، تالله إن وجدت شخصًا

واحدًا يهتم لأمري ما كنت فكرت في ذلك، لا فائدة من العيش بعد الآن أمنحكم انهزامي الأخير.

«أعتذرلكوني هنا، أعتذرلحزني، ليأسي، أعتذرلكم، أعتذرلتلك الحياة، أعلم بأنكِ لم ترغبي بي قط، لكن لا تنزعجي، لن يزعجكم أمري بعد الآن، سأصحح ما بدَر مني، ألقاكم في عالم آخر بقلوب مختلفة».
رسالة انتحارزين..

***

««يارب» أقولها كي يطمئن قلبي؛ هكذا لأنك تعلم كل ما أخبئه، أرددها كلما أردت أن أهدأ، هكذا لأنني ليس بيدي حيلة وكل شيء بيديك»

(مريم)

ظلت مريم تنفذ كل ما قاله الطبيب النفسي لها، وجوارها عائلتها يقدمون لها كل الدعم النفسي الذي تحتاج إليه ويواسوها دائمًا أنها ستعود أفضل وسينتهي هذا البلاء عما قريب، مر ثلاثة أشهر ومريم تستعيد نفسها وهم يقلون شيء فشيء، تعايشت على أنهم يلازمونها وتقبلت أشكالهم المخيفة وأصواتهم المفزعة، حتى اختفوا تمامًا، كانت خائفة أن يعودوا من جديد لكن بفضل الله لم يحدث، تذكرت كل ما حدث لها طيلة هذه السنة وقررت أن تدون ذلك وتحكي كل شيء، من بداية ظهورهم إلى أن تعافت منهم.

وتحكي للجميع كيف كانت (صفا) الصديقة الصادقة التي لم تفارقها وكانت لها خير معين في هذه الرحلة المليئة بالمعاناة كما قال طارق عادل «صاحبي اللي شالني في كل مرة وقعت، شكرًا لأنك كل مرة سمعت»

اليوم أقف أعلن انتصاري على الفصام الذي سبب لي الكثير من المآسي، كان يتقلب حالي كل وقت، لحظة أبكي تليها لحظات من الضحك الهستيري، أفقد شهيتي تارة وتارة أخرى أفرط في الطعام، آثار الجانبية للدواء أصعب من المرض نفسه وأخبرني الطبيب أنها ستستمر معي طويلًا، لم أكن أستطيع أن أنظر إلى المرآة أبدًا لأنني كنت أخشىٰ رؤيتهم بها، كنت أتجنب فعل أي شيء وأخاف وأهرب بعيدًا لكن كيف يهرب المرء من نفسه.

اليوم أستطيع المواجهة دون خوف ولا تردد، اليوم لم تعد ترهبني رؤية البشر ولا مخالطتهم، وأصبحت أنظر إلى المرآة كل يوم وأقول لنفسي أنتِ قوية لأنكِ تغلبتِ على كل الصعاب وهزمتِ المرض.

اليوم عدت أرى نفسي جميلة رغم الشحوب وتغير ملامحي التي مازالت بها بسبب الآثار الجانبية للدواء، لكنني أثق جيدًا أنه كما انتهىٰ المرض سينتهي كل شيء يخصه، كانت تجربتي مع الفصام أشد قسوة لكنني خرجت منها بفضل الله ورحمته الواسعة وعلى الجانب الآخر جعلت مني شخصًا أكثر قدرة على التحمل والأيمان بأن الله سينقذنا كما يحدث كل مرة وها قد حدث.

داخل فترة الفصام لم أكن أصدق أنني سيأتي اليوم الذي أقول به كل هذا، ظننت الكرب من شدته لن يزول،

لكنه زال، اليوم أنا أعلن أمام الجميع أنني تعافيت، وأدركت مؤخرًا أنني قوية واجهت كل شيء وانتصرت عليه.

أنت أيضًا تستطيع أن تتغلب على المرض أيًا كانت الظروف التي تحيط بك، عزيزي لا تستلم أبدًا، قف وقاوم وفي الخلفية صوت مسار اجباري «وتقع وتقوم» لا تسمح لأي ظرف أن يهزمك، أنت قوي.

ثم نشرتها (مريم) على صفحتها الرسمية بموقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»

كان لدى (مريم) هواية القراءة والترجمة، ولطالما أن هذه آخر سنة لها في كلية الألسن فقررت مريم أن تعمل في ترجمة كتب الغرب؛ كانت تتخذ من (ضي رحمي) قدوة لها وتتمنى أن تصبح مثلها، بالفعل نجحت (مريم) في عملها الذي كانت تصنعه بكل حب وفي مدة قصيرة انتشرت ترجماتها بين القراء والكتاب حتى تمت دعوتها إلى لقاء صحفي وحين سُئلت من كان الدافع لها قالت عائلتي وأصدقائي الذين آمنوا بي منذ البداية هم من جعلوني أصل إلى هنا.

إن أعظم ما يمر على المرء أن يقف معلنًا انتصاره أمام الجميع، شعور يشبه عودة الأمل بعد أعوام من فقدانه كأنك للتو تعيش من جديد.

الحياة تكون أقل بؤسًا عندما نحاط بأناس يحبوننا ونحبهم، يجعلون الحياة -بكل ما بها من صعاب ومتاعب-

ألذ جنة؛ فقط لأنهم معك.

إنها لفكرة دافئة جدًا أن تجد عناقًا ينتظرك وذراعين مفتوحة لك دائمًا وقلبًا ينتشلك من ظلامك.

«أن تجد شخصًا حنونًا لا يغمض له جفن حينما ينهال دمعك، ألا تزوره القسوة أبدًا»

رزقكم الله بمَن يشعركم بلذة الحياة..

***

«قلبي يشبهك حتى إن افترقنا ستجمعنا ألحان الموسيقى وطرقات الحب»

(سليم)

كانت (روح) تحب التصوير وتتوج كل اللحظات بالتقاط صورعشوائية كانت أو عن عمدٍ، وكان (سليم) يعرف ذلك منذ الصغروهي تصور وتنشر الصور عبرحسابها الالكتروني، ظل سليم يفكر كيف يعبرلها عن حبه وكان يريد أن يخبرها بطريقة لا تنساها أبدًا، قرر سليم أن يصنع من كل هذه الصور لوحات ويضعها في معرض يحمل اسمها ويعلن لها أمام الجميع أنه يريد الزواج منها في يوم ميلادها القادم -بعد شهر من اليوم- وسيكون ذلك بالاتفاق مع والدها على أن يتم كل ذلك دون معرفتها بأي شيء، وحرص سليم على أن تكون كل الدعايات للمعرض باسم مستعاركي لا يصادفها الخبروتعلم ما يخطط لها.

جهز سليم المكان واللوحات وكان كل شيء مبهرًا للغاية، اليوم ميلادها الرابع والعشرين وقد وضع سليم أربعة وعشرين لوحة لها في المعرض وبين كل لوحة وضع حرفًا على أن كلَّما تجمع حرف تصل في النهاية إلى المراد.

أخبرها والدها أن تدخل إلى غرفتها وتلبس هذا الفستان الذي وضعه لها فوق السرير لأنهما سيذهبان إلى حفل لأقرب أصدقائه، كان فستانًا لونه أحمر داكن ارتدته (روح) وقد بدت فيه كأميرات «ديزني لاند» كما ارتدت عقدًا مصنوعًا من حبات اللؤلؤ قد أهدته لها أمها، وضعت القليل من مساحيق التجميل وتركت شعرها متناثرًا فوق ظهرها وخرجت إلى والدها الذي كان ينتظرها في الخارج.

طوال الطريق ووالدها يخبرها كم تبدو جميلة ورائعة ويبتسم ويقول لها سيحسدني الجميع أن أمشي جوار هذا القمر، هو يعلم جيدًا أنها ستتفاجأ وترتبك ويصيبها حالة من الخوف عندما ترى ما يحضره لها (سليم) فكان يريد أن يزيد من ثقتها بنفسها وألا يكون هناك أي ضغط تشعر بها ولا أي خوف يتملكها من أن تسأل نفسها كيف يبدو الآن مظهري وهذه التساؤلات.

حينما وقفت السيارة ونزلت (روح) ووالدها يمسك بيديها برفق دمعت عيناها لما تراه ولم تصدق أن اسمها حقًا معلقًا أمام المعرض وأن بداخله ستجد جزءً من روحها نظرت لوالدها واحتضنته بشدة ثم دخلت روح التي استقبلها الجميع بعبارات مليئة بالحب قللت من توترها، كانت كلما تنظر إلى لوحة تتذكر اليوم الذي التقطت فيه الصورة ومناسبتها وتحن إلى هذه الأيام، وكانت تقرأ كل

حرف مكتوب وعلى وجهها تعجب ودهشة مَن فعل ذلك؟

حتى وصلت إلى أخر لوحة وأخر حرف كانت الجملة «عزيزة الروح توافقي تتجوزيني؟» حينها ظهر (سليم) البطل الخفي وراء كل هذا، جلس على ركبتيه وأخرج خاتمًا من جيب سترته ونظر إليها وقال «لا يكفي أن أكتبها أنا اليوم أقولها لكِ لا أريد من العالم سواكِ أتقبلين الزواج مني؟ أومأت برأسها وعلى وجهها ابتسامة تنبع من قلبها، حتى وضع سليم الخاتم في إصبعها، حينها تذكرت كل لقاء لهما وكل ذكرى في طفولتهما ونظرته التي كانت تبوح لها بحبه فهي تؤمن أن كل ما يُخفى تبوح به الأعين.

أمسك (سليم) يديها ووضع عليها قبلة ثم قال: ملامحك دافئة تجعلين المكان يعم بالدفء، منذ أول لقاء لنا شعرت بأن قلبي يخرج من داخلي إليكِ، تلعثمت بكِ و انتهى أمري، كنت أخاف أن أغدو دونك وأنا الذي لم أذُق طعم الحياة إلا مَعِك، أخاف أن تشرق شمس الجميع ويغيب عني القمر، إنكِ ما كنتِ أبدًا ثمة حبيبة، بل إنني وجدت نفسي بين ثنايا روحك، كنت تائهًا، ضالًا، شاردًا، ومتفرقًا، وأنتِ أعدتِ ترتيبي، جعلتِ مني شخصًا مقبلًا على الحياة، أزهرتِ دنياي ببسمتك، وجمّلتِ الأشياء بعطرك، أنتِ مكملتي بل أنتِ جميع أنفاسي، فكيف أن يعيش المرء بلا نفسه؟

روح: أقسم لك أنني لم أمِل لسواك، وأن قلبي رأى بك موطنًا له، وأنني أغرمت منذ الوهلة الأولى، كنت أخاف الحب ويُبتلىٰ المرء بما يخاف، فما أنت إلا ألذ بلاء، جمعتنا الأزمات وبرودة طقس الشتاء، التقينا بين ألحان الموسيقى، وغفونا بنسمات البحر، لاحت بيننا الأمواج، وحال بيننا الزمان، تغلبنا عليهم وبقينا سويًا فما الذي يأخذني منك وأنا بعمق روحك مسكني؟

سليم: أتعلمين يا روح إنني وبالرغم من كل تعاستي حضورك يرويني ويخلق مني شخصًا مقبلًا على الحياة، حياة لا تعني لي شيئًا دونك.

روح: أتانا الذي ارتضينا به خلقًا ودينًا وصمتت قليلا ثم أخفضت رأسها إلى أسفل وأكملت وحبًا، أنا لا أعلم كيف أشكرك على كل الذي فعلته من أجلي يا (سليم) ليس فقط الآن ولا بقضية (شهاب)، منذ الصغر كنت تدافع عني أمام أبي حينما أخطئ وتتحمل أنت نتيجة خطئي وفي المدرسة كنت لا تمانع أبدًا أن تعاقب بدلًا مني، والكثير من الأشياء أنا لا أنساها كما لم أنساك، حتى أنني كنت أنتظر كل إجازة أعود فيها إلى مصر حتى نلتقي، هذا الحب الذي وُلد ونحن صغارًا لم تستطع أي مسافة ولا غياب أن تنتزعه من داخلي.

وفي الخلفية صوت فيروز «شايف البحر شو كبير، كبر البحر بحبك، شايف السما شو بعيدة بعد السما بحبك »

« الخاتمة »

لأن البعد يكون قارصًا أكثر من البرد، ولأن الوقت يقتلك نيابة عن الموت، لأن الأشواك تنبت في الفراق بدلًا من الأشواق، ولأن القلم يحوي ما في القلب لذلك أكتب دائمًا.

في أواخر كتابتي لفصول تلك الرواية أعلن حدادي وحزني على «زين» وأعلن سخطي على كل مَن يتسبب في إيذاء الأشخاص ولو بكلمة، أنت تقولها بقصد المزاح لكن عزيزي هناك شعرة بين المزاح والسخرية وإن لم تأخذ ذلك في عين الاعتبار فانظر كم كلمة جرحت شخصًا وأنت كنت سببها، وكم مرة جلس شخص يتساءل هل أنا بالفعل كما قال عني؟

لا سامح الله أي شخص ينزع ثقة المرء بنفسه وأذاقه ذات الشعور، العالم به ما يكفي من السوء أرجوكم كونوا ملاذ اللطف دائمًا.

اضطرابي الذي لم أكتشفه إلا بمحض الصدفة كان سببًا من أسباب كتابتي هذه السطور، لأنني شعرت كيف تكون الحياة أشد قسوة وأنت تعاني من جروح داخلك لا يتفهما أحد، علينا جميعًا أن نحترم أي شخص لديه مرض

نفسي وألا ننظر إليه بعين إنه مجنون؛ لأن ما لا تعلمه يا عزيزي أننا بالفعل مصابون بالكثير من التشوهات النفسية التي تركت داخلنا الكثير من الألم.

***

إهداء محبة

(لسوزان عليوان) التي وجدت نفسي لحسن الحظ أشبهها..

لأبي وعائلتي الصغيرة ورفقاء أيامي وحزني..

للعزيزة (ثُريا) التي شهدت كل حرف، كل ألم، وكل ذرة من مشاعري المزروعة هنا..

للكتابة ذاتها لطالما كانت المهرب من ضجيج الوحدة، إن الكتابة بالنسبة لي هي الحياة ودونها عدمٌ، لا شيء ننجو به غير أن نكتب، أن نذوق هذا المر المفضل الذي كلما انغمسنا فيه انغمس هو الآخر بنا حتى صرنا مساكين والكتابة هي قطعة الخبز التي تأتي لنا بعد صيام، لولا الكتابة ما كنت دائمة الرضا عن نفسي بل ما كنت شعرت لقيمة حياتي من الأساس، أنا على يقين تام أنني من دونها كنت أدمرت بنفسي سوءً

أظل أكتب كي لا تضيع الأحرف وأضيع معها لذلك لن أكف أبدًا عن صنع الحكايات.

الجدير بالذكر أنني لولا دعم الأحبة ما وصلت إلى هنا لذلك عليّ أن أشكرهم كل الشكر، أنا بكل ما لديّ من

مشاعر لا أستطيع أن أعبر لكم عن مدى حبي وإمتناني لكم كما أنني دون كل مَن آمن بي لم يكن أحد يقرأ الآن شيئًا يحمل قلبي داخله؛ لقد وهبت هذه الرواية كل ما في جعبتي بكل ودٍ وسلام.

في نهاية المطاف قد انتهت رحلتك إلى هنا عزيزي القارئ أقدم كل إمتناني لك وأحبك نيابة عن العالم وما به، على أمل أن نلتقي مجددًا بين سطور أخرى مليئة بالدفء والحب.

***

تمت بحمد الحمد الله.

إلى لقاء آخر.

للتواصل مع الكاتبة عبر الفيسبوك

الفهرس

إهداء	7
المقدمة	9
« الفصل الأول »	11
(بداية الحكاية)	11
« الفصل الثاني »	35
« الفصل الثالث »	57
(مازال في الحكاية أسرار)	57
أسوء عدو للإنسان ذكرياته..	75
« معاناة نتيجة »	91
الفصل الرابع	95
(قبل النهاية بخطوتين)	95
(الفصل الأخير)	123
(نهاية الحكايات)	123
« الخاتمة »	147
إهداء محبة	147

إيميل: mesaak10@gmail.com
الواتساب: 01143487669
فيسبوك: mesaak0